

كتاب فوهية

الهيئة العامة لكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف:
رقم التسجيل: ١٩٥٨/٤٠



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
El-Maktaba El-Alexandriya

عنوان

من بنو مر

يقلم: سليمان مظهر

تقديم

عندما صدر هذا الكتاب لأول مرة في عيد الثورة العاسر ، يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ، كنا في مصر نقف فوق قمة رائعة ، كبيرة ، عملاقة ، ونحن نطل خلفنا الى سنوات عشرة مضت ، صنعنا فيها ما يشبه المعجزة ، نحت قيادة العملاق الثائر .. على طريق الحربة والاشتراكية والوحدة ولكننا - مع ذلك - كنا ندرك جيدا أن هناك قوى رهيبة لا تزال تعمل في الحفاء .. تلقي السموم في مائنا .. وتغرس الشوك على أرضنا .. وتحاول بكل ما تسنطيع من جهد أن تسد من أمام شعبنا العربي الكبير كل معالم الطريق ..

وكان العملاق الثائر يهضي بنا في الطريق .. يزيل الأشواك ، ويجطم السدود .. في نفس الوقت الذي يواصل فيه اقامة المستقبل الرائع لكل الشعب ..

ومع هذا ، فقد كانت الرجعية والاستعمار لا يزالان يعملان جهدهما من أجل أن تتراكم ظلمات التضليل فوق سماوات الوطن العربي الكبير ..

كانا يستغلان - بكل طاقتهما - نكسة الانفصال التي لم يكن قد مضى عليها سوى بضعة شهور ، وراحا يجمعان معهما كل أعداء الأمة العربية ليصنعوا مائنا شامتا للوحدة ، ينفذان من خلاله الى تحطيم كل معنويات هذا الشعب ..

وكانت صورة الاعداء تبدو أمامنا واضحة جلية ..

المستعمرون يهللون لمؤامرة الانفصال ويعلنون طربهم لنجاحها ومضيها على الطريق ..

واسرائيل تواصل رقصاتها من فرط الانشوة ، وهي تزيج عن صدرها عبئا ثقيلا كانت تزح تحته منذ فرض الشعب العربي في سوريا ومصر وحدة البلدين في جمهورية عربية متحدة ..

وقصور الرجعية العربية تضىء وقد فتحت نوافذها لتتنسم الهواء بعد طول احتباس ..

ففى الرياض .. رفعت الرجعية السعودية أنفها تيتها وعجبا وهي تنثر الذهب على من يواصل الطريق ، كما نثرته من قبل على من قاموا بقطع الطريق ..

وفي عمان .. ظل حسين بن طلال يحجل كالغراب أمام أنطوانيت جاردنر وعمو يعوى من فرط مآهزه الطرب والسرور والارتياح ..

وفي تعز .. جمع الامام أحمد جواربه وغلماه وانطلق يتلو عليهم اشعاره ويرنم بأهاجيه في الحرية والاشتراكية والوحدة ...

وفي بغداد كان الزعيم الأوحده يزعم بتصريحات هستيرية محمومة معلنا ناييده للانفصال وتدعيمه للانفصاليين بالمال والسلاح والمهج والأرواح .. !

وبرغم كل ذلك .. كانت القافلة تسير ... تحت قيادة العملاق الناثر .. وهي لا تلتفي بالا من حولها الى عواء الكلاب ...

وصدر هذا الكتاب في أول طبعاته يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ..
والعلاق يقف شامخا كالطود على القمة الرائعة ...

وكان القدر يرسم في ذلك التاريخ خطوطا جديدة متينة ثابتة ..
كانت نقطة تحول هائلة لانتصارات الأمة العربية الخالدة ...

فمنذ ذلك التاريخ ، حتى اليوم ، حدثت أشياء كثيرة خطيرة ، تمت كلها في أقل من ثمانية شهور ، هي قليلة جدا في عمر الدهر ، كبيرة جدا في تاريخ شرقنا العربي ..

في مصر .. ظلت القافلة تسير ، تحت قيادة الربان الرائد الذي عرف جيدا كيف يمضى في طريق الأمواج فلا تهتز به السفينة .. في الوقت الذي تستطيع هي بين كل لحظة وأخرى كسر كل موجة مهما كانت عاتية .. وتحطيم كل زحف مجنون يقصم به لصوص الحرية ، وفرصنة الاستعمار .. وطوال الطريق .. ظل الربان العملاق يرسل أضواءه الكشافا لتتير السبيل أمام كل الأحرار ... ولتكشف الأستار عن كل الذين يحاولون العمل من خلال الظلمات ...

وفتحت شعوب الأمة العربية عينيها جيدا على الطريق ... وبدأت أسوار الحيانة الشامخة تنهار ...

في الجزائر ... انتصر المد الثوري العربي على الطغيان الفرنسي .. وانتفضت الجزائر العربية المتحررة لتكون منطلق الأحداث الكبرى التي تحركت في الوطن العربي كله من أجل التحرر والوحدة والبناء الاجتماعي الاشتراكي ..

وفي اليمن .. كانت ثورة الشعب الذي طالما عملوا من أجل أن يجعلوا منه أسطورة للجهل والظلام .. فاذا به في انتفاضته يعبر عن الروح الثورية في الشعب العربي .. الروح التي لا يمكن أن تؤثر فيها انحرافات أو انتكاسات مؤقتة .. سرعان ما يجرفها المد الثوري الكبير الذي لا يتوقف عن المسير ..

وفي العراق .. تحطم الطغيان الفاشي الأحمر ، تحت ضربات الأحرار الذين خرجوا في ١٤ رمضان يردون النور الى ١٤ تموز ..

ويضعون العراق من جديد على الطريق الصحيح المؤدى الى الالتقاء
بالأخوة العرب في الاهداف الكبرى للامة العربية كلها ..

وفي سوريا .. كانت الانتفاضة الجديدة للشعب البطل ..
الشعب الذى لم يحن رأسه لحظة منذ نكسة الانفصال برغم ما نكأه عليه
من المتآمرين والانفصاليين والقتلة .. فاذا به ينهض ليطيح بكل رؤوس
الحيانة .. ويسقط من حساب تاريخه الخالد عاما ونصف عام لم يعد
يعترف بهما على الاطلاق ..

وعلى مسير الأيام كانت أشياء كثيرة أخرى تحدث فى السعودية
والأردن ..

فهناك .. بدأ الدوى الصاخب يتحول الى مثل هدير البركان ..
ليؤكد للرجعية الطاغية العميلة أنها لن تستطيع الوقوف لحظة واحدة
فى وجه حتمية التاريخ .. برغم كل اندفاعاتها المجنونة فى محاولتها
اليأس لشد عجلة التاريخ الى الوراء أو زحزحته عن طريقه المحتوم ..
وليؤكد لها أن التاريخ لا يغير مجراه ولا ينحرف عن مرماه .. بل هو فى
مسيره لا بد وأن يجرف قصور الرجعية أمامه .. ويحطم أعداء البشرية
من الطغاة والعملاء .. وأن المد الرجعى الذى بلغ مداه الأقصى عند
حادث الانفصال ، قد انحسر الى جزر مروع فوجئت به الرجعية
والاستعمار لأنه جاء على عكس النتائج التى رتبوها على المقدمات التى
صنعوها باحكام ..

وهكذا مضت الأيام تسطر خطوطا جديدة للتاريخ الجديد فى أقل
من ثمانية شهور ..

ولكن هل كان معنى هذا أن الأيام كانت تمشى على الطريق بأسرع
مما توقعه العملاق .. عبد الناصر ..

أبدا .. لم يكن شىء من ذلك قط .. فكل هذا الذى كتبه التاريخ
الجديد قاله عبد الناصر .. وتوقعه .. وعمل من أجله .. وهو يطل
الى المستقبل القريب ..

من أجل ذلك .. لم يكن هناك قط ما يدعو .. عند إعادة طبع هذا
الكتاب - لتغيير أى كلمة جاءت على صفحاته التى كتبت قبل ٢٣ يونيو
١٩٦٢ .. فحتى الأحداث التى تحول معها مجرى التاريخ فى الوطن
العربى .. هى نفسها التى جاءت على صفحات الكتاب .. وتوقعها .. كما
قلت .. عملاقنا العربى الثائر .. فببت واضحة من خلال كلماته الرائدة
ومواقفه التى ناقشتها هذه الصفحات ..

وبعد ..

لقد انهار الاستعمار والرجعية في الجزائر .. وفي اليمن .. وفي
العراق .. وفي سوريا .. وأحيط بهما في الرياض وعمان ...
وستمضي بقية الشعوب العربية في هديرها ضد الطغيان والرجعية
والاستعمار .. ونصب عينيها صورة العملاق .. الثائر .. الذي جعلته
رمزا لكل آمالها .. وأمانيتها .. من أجل عالم عربي واحد عظيم .

أبريل ١٩٦٢

سليمان مظهر

فزا العراق



عندما استيقظ شعبنا في صبيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كانت كلماته الاولى وهو يرى طلائع الثورة ، عن البطل الذي قاد هذه الثورة الفدائية العاصفة التي فاجأت أعداءها كما فاجأت أصدقاءها ، فاجأت الاقطاعيين وأسرة محمد على والمستعمرين ، كما فاجأت الملايين من أبناء شعبنا حين ذلك .

لماذا فوجيء الجميع ؟

لان أعداء الشعب كانوا في أوج قوتهم ، يحكمون البلاد بالحديد والنار وحظر التجول . ولأن الشعب كان بلا قيادة سياسية حقيقية .
لقد نفسخت مؤسسائه السياسية الحزبية التي قادته في انتفاضات سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٥ وما بينهما من معارك ضد الملك والاستعمار .

وفي ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان الشعب يقف وحده ، وكان زعماء أكبر أحزابه يصطافون في أوروبا ، وفجأة استيقظ الشعب فوجد ان طبيعته الثورية قد نزلت الى الشارع وأعلنت الثورة ثم خاعت الملك ، وضربت الاقطاع .

والبطل الذي قاد هذه الثورة ظل بعيدا عن الاضواء لسبب بسيط ، هو من صميم طبيعة هذا البطل الذي صنع الثورة وقادها .
ففي صميم طبيعة هذا البطل فدائية لا تبحث عن جائزة لأعمالها الفدائية .

وعندما أبرزت التطورات الثورية بطل الثورة على رأس الصفوف ، ظل البطل محتفظا بطبيعته الاصيلية : فدائيا ، يفدى شعبه ووطنه ، ولا يبحث عن جائزة للفداء .

هذه الروح الثورية الجهورية في كيان جمال عبد الناصر ، هي التي وجهت الاحداث خلال الاعوام العشرة الماضية ، بحيث ننظر الآن الى الشوط الذي قطعناه تحت قيادته ، وكأننا ننظر من قمة جبل شاهق الى سفح سحيق !

والذى نراه من القمة التى ننظر الآن من فوقها ، لا يمكن أن نصدقه إلا اذا تذكرنا دائما طبيعة الرائد الذى زحف بنا من السفح الى القمة ، وقادنا عبر المسالك الوعرة ، وتخطى بنا الاشواك والعقبات ، ورسم لنا الخطط الناجحة للصعود المستمر ، الصعود بلا انقطاع من سفح اليأس والجمود ، الى قمة الامل العريض والحركة الوثابة التى يهز هديرها الدنيا كلها .

ورحلتنا وراء عملاق بنى مر خلال السنوات العشر الماضية ، كانت رحلة فى طريق تكتنفه ظلمات المجهول ، ولم يكن الطريق معروف المعالم حتى للرائد البطل نفسه ، ولكنه كان مؤمنا بأننا لا بد أن نسير فى هذا الطريق ، لأنه البديل الوحيد لطريق اليأس والخيبة والدمار الذى كان المستعمر وأذنابه يقسرون شعبنا على السير فيه .

والآن لم يعد سرا ان « جمال عبد الناصر » عندما قاد الثورة فى فجر ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كان يفكر فقط فى وجوب قيام الثورة كرد شعبى ثورى على الطغيان والاستعمار والاقطاع .

ان طبيعة عبد الناصر كفدائى ثائر ، فتحت له باب الثورة ، فاندفع فيه مع رفاقه الباسلين ، ليعلن ارادة الشعب فى الثورة على أعدائه .

ولكن تفجير الثورة هو الخطوة الاولى ، فماذا تكون الخطوة الثانية ؟

هذا هو السؤال الذى طرحته الاحداث الثورية على قائد ثورة ٢٣ يوليو .

وكان لا بد له من الاجابة عنه ، لان الثورة ليست خلع نظام واحلال نظام آخر فى مكانه ، ليست الثورة انقلابا ، بل تعبيرا عميقا عن ارادة الشعب الثورية ورغيبته التاريخية فى تحويل طريقة حياته ، والتخلص من الآفات الاجتماعية والسياسية وغيرها من الآفات التى توارثتها أجياله المتعاقبة ألوف السنين !

وبالطبيعة الفدائية نفسها ، أقبل جمال عبد الناصر على واجبه الجديد بعد قيام الثورة .

لم يعد زهده فى الاضواء هو المحور الذى يمكن أن تدور حوله الثورة لتنجح ، لان كل أضواء الثورة ستعرض للانطفاء اذا تخلى عنها بطلها الذى أنبعثت منه شرارة الضوء .

وعندما جلس عبد الناصر فى كرسي الحكم ، لم يكن حاكما ، بل كان هو نفسه الفدائى الذى اقتضته واجباته كفدائى أن يجلس على هذا الكرسي .

ثم انقضت عشر سنوات ، ولم يعد احد يتصور الآن ان « جمال عبد الناصر » شخصية حاكمة كهذه الشخصيات التى تحكم دول العالم ، لأن عبد الناصر أصبح خلال هذه السنوات رمزا تاريخيا ورائدا وصاحب فلسفة سياسية واجتماعية وقومية .

لقد واجهت ثورتنا بقيادة جمال عبد الناصر موقفا داخليا معيناً ، يرتبط به وصف خارجي .

ولم يبحث جمال عبد الناصر في صفحات الكتب عن نظريات جاهزة تهديه سواء السبيل في موقفه داخليا وخارجيا ، لأن ظروف بلادنا الخاصة جعلت البحث عن نظريات جاهزة ضربا من العبث لا يمكن أن يحل مشكلاتنا ، وهكذا أصبح واجبا على جمال عبد الناصر أن يكشف خلال النشاط العملي لثورتنا كل الطرق التي تؤدي إلى النجاح .

ومن خلال العمل المتواصل ، تراكمت التجارب الصحيحة لدى جمال عبد الناصر ، وظهرت معالم طريقنا الخاص بنا في موقفنا الداخلي والخارجي .

وأصبحت لبلادنا بفضل تجاربها الخاصة ، خبرة بمعالجة مشكلاتها بنفسها ، طبقا لحاجاتها ومبادئها وأهدافها . وانبثقت من خلال تجاربنا الثورية ، نظرياتنا الثورية الخاصة ، وهذا هو السبب الرئيسي في أننا لا نحتاج إلى نظريات أجنبية من الغرب أو الشرق لتطبيقها في بلادنا .

غير أن استخلاصنا لنظرياتنا الثورية الخاصة من تجاربنا الثورية المتوالية ، لم يكن قط انفلاقا قوميا متعصبا يرفض الاستشارة بتجارب الآخرين ونظرياتهم ، بل كان مجرد ادراك منا للاختلاف الجذري بين مشكلاتنا ومشكلات غيرنا . . وقد ساقنا هذا الاختلاف الجذري إلى البحث عن حل خاص لمشكلاتنا الخاصة .

وبفضل عبقرية جمال عبد الناصر في استخلاص النظرية الثورية من العمل الثوري تكاملت لثورتنا بمرور الوقت فلسفتها الخاصة ، التي تتمثل داخليا في النظام الاشتراكي الديمقراطي التعاوني ، وتتمثل قوميا في الوحدة العربية كتعبير عن الإرادة التاريخية للقومية العربية ، أما في العلاقات الخارجية فتتمثل في سياسة عدم الانحياز كتعبير عن الرغبة في التعاون الدولي الحر ، بلا انحياز إلى كتلة معينة من الكتلتين اللتين تتنازعان العالم الآن .

ولم تكن عبقرية جمال عبد الناصر تعمل وحدها في هذا المجال ، بل كانت تعمل معها إرادته الحديدية ، إرادة الفدائي الذي لا يجلس في كرسى الحكم بعقلية الحاكم وروحه ، بل بعقلية الفدائي وروحه وإرادته .

لقد كانت المغريات التي أحاطت بعبد الناصر كثيرة جدا ، وكلها كانت تهدف إلى تحويله عن الطريق الصحيح الذي اكتشفه بنفسه لبلاده واستخلص له نظريات العمل ، من خلال العمل نفسه . ففي الداخل كانت القوى القديمة المنضوية تحت لواء الأقطاع والرأسمالية الاحتكارية، تتصور أن عبد الناصر يمكن أن يقنع بتحقيق بعض شعارات ثورته دون أن يمس المصالح الجوهرية للأقطاع والرأسمالية الاحتكارية .

وهنا برزت الإرادة الحديدية إلى جانب عبقرية عبد الناصر لتجلب

كل آمال الاقطاع والاحتكار الرأسمالى ، ففرضت ارادة عبد الناصر باعتبارها تعبيرا عن ارادة الشعب ، خط السير الصحيح فى الداخل ، وتوالت ضرباته للاقطاع والاحتكار الرأسمالى .

والآن ماذا نرى فى بلادنا ؟

نرى اننا نعيش فى ظل اشتراكية عربية خالصة منبثقة من واقعنا الحى ، اشتراكية نضع أسسها لبنة فوق لبنة ، يشيدها جمال عبد الناصر قائدا الثورة بقرارات بصدرها بين الحين والحين ، ترسم لنا معالم الطريق ، وتدفع مجتمعنا الى مرحلة جديدة كل يوم فى تحقيق الاشتراكية وإذا كانت قد صدرت قرارات كثيرة حتى الآن فلا تزال هناك خطوط أخرى كثيرة طويلة ، لان طريق الاشتراكية طويل . وعبد الناصر بارادته الحديدية التى تعمل مع عبقريته الثورية ، مصمم على أن يحقق ارادة شعبنا فى بناء المجتمع الاشتراكى السليم .

وهكذا فشلت احلام الاقطاع والاحتكار الرأسمالى فى توهين ارادة بطلنا للسير بنا نحو الاشتراكية التى رفعها البطل شعارا اجتماعيا من شعارات الثورة .

وفى مجالات العمل الثورى الاخرى داخل وطننا يمكن أن نجد مئات الأمثلة من هذا القبيل ، وكلها تدل على أن عبد الناصر الفدائى الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو قد اكتشف الطريق الصحيح لبلاده من خلال التجارب الثورية المتوالية ، ولا توجد الآن قوة مهما بلغت ضخامتها تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير فى الطريق الصحيح .

وماذا عن الموقف الثورى الذى يتخذه جمال عبد الناصر ازاء العالم المحيط بنا ؟

ان هذا الموقف امتداد لموقفه الداخلى ولا يمكنه أن ينفصل عنه ، فقد اكتشف جمال عبد الناصر خلال تجاربه الثورية أن لبلادنا وضعها الخاص بها ، فهى لا تستطيع أن تزج بنفسها فى غمار الحرب الباردة لأن ذلك سيعرقل تطورها فى الداخل ، ويخرجها من التبعية للاستعمار ((كما كانت فى العهد الملكى)) الى السير فى ركاب تبعية من نوع جديد .

وعندما اكتملت فكرة الحياد الايجابى لدى جمال عبد الناصر، ذهب بها الى مؤتمر باندونج التاريخى ، ثم أصبح الحياد الايجابى وعمد الانحياز سياسة خارجية لنا ترتبط أشد الارتباط بما يجرى داخل بلادنا من تحولات ثورية عاصفة .

وقد أصبح واضحا لشعبنا الآن ان الانحياز سيفضى بنا الى التخلّى عن طريقنا الثورى فى الداخل ، لان الانحياز الى الغرب ، سسيّبعه الانحياز الى طريقته فى الحياة ، أى فى التنظيم السياسى والاجتماعى ،

غيرتق الاقطاع ورأس المال والساسة المحترفون فى بلادنا ، ليدمروا كل ماشيدناه بعرقنا ودمائنا لجيلنا وللأجيال القادمة .

أما الانحياز الى الشرق ، فسيتبعه الانحياز الى طريقته فى الحياة كذلك . وقد برهنت الحياة نفسها على أن بلادنا لا يمكن أن تعيش فيها الا طريقة حياتها الخاصة المستمدة من مثلها العليا وأهدافها القومية الثورية .

ولكن عدم الانحياز لا يعنى موقفا سلبيا تتخذه بلادنا حيال مايجرى حولها فى العالم . لأن ما يجرى فى العالم يهم بلادنا مباشرة ، لسبب بديهى، وهو أنها جزء من هذا العالم تتأثر بما يجرى فيه .

وقد انتفت السلبية تماما عن موقفنا الخارجى بمئات البراهين . فنحن نتخذ فى قضية السلام العالمى موقفا صلبا يستند الى مبادئ راسخة ، وقد شهد العالم كله كفاحنا المستميت فى سبيل تدعيم السلام العالمى ومحاربة القوى التى تحاول تحطيمه .

وقد ساهم انتصارنا على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ فى تدعيم السلام العالمى وتقليم أظافر القوى الساعية لتعكير الامن الدولى .

وعندما أرسلنا قواتنا الى الكونغو ، كنا نهدف الى المساهمة فى ابعاد الحرب الباردة عن هذا البلد الأفريقى الناهض .

وكان التقاؤنا بأشقائنا الأفريقيين فى العمل المشترك من أجل تدعيم الاستقلال للدول الأفريقية الناشئة ، عملا كبيرا لتدعيم السلام العالمى، بابعاد الحرب الباردة عن القارة الأفريقية .

وهذه المواقف ، كلها ، التزمها عبد الناصر كقائد ورئيس لبلادنا ، لا لأسباب عاطفية ، مع توافر هذه الاسباب ، ولكن لأسباب موضوعية بحتة تتعلق بمصالح بلادنا ومصالح الشعوب الاخرى الشقيقة ، وغير الشقيقة .

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نفهم موقف التأييد القوي الذى كان لعبد الناصر ازاء ثورة كوبا عندما هوجمت بالسلاح ، وكانت برقية عبد الناصر الى كاسترو تحمل كل المعانى الاساسية لموقف بلادنا حيال قضية السلام العالمى ، هذا الموقف الثابت الذى لا يفرق بين بلد وبلد ، وبين قارة وقارة .

وعلى هذا الاساس أيضا نستطيع أن نفهم جانبنا من موقفنا ازاء اسرائيل .

فاذا نحينا جانبا كل الاعتبارات القومية والحقوق الشرعية الخاصة بعرب فلسطين وجدنا ان موقفنا من اسرائيل سيظل كما هو الآن ، لأن اسرائيل بؤرة للحرب فى منطقتنا ، ومعسكر مسلح يخدم مصالح القوى المعادية للسلام العالمى ، ولهذا تقف بلادنا بالمرصاد لاسرائيل ، ولا تنفل عن مؤامراتها لحظة واحدة ، لان التسامح مع اسرائيل ، سيفضى

بنا في النهاية الى التسامح مع أعداء السلام العالمى أنفسهم ، ثم تسليم قضية السلام العالمى لخصومها الألداء ، يعيشون بها كيفما شاءوا ؛ ويعرضون أرواح الملايين في العالم كله للدمار في الحرب الذرية .

وهكذا أصبح موقف عبد الناصر الخارجى ، يتمثل في عدم الانحياز كسياسة ثابتة لابعاد بلادنا عن الحرب الباردة ، ولتخفيف الحرب الباردة نفسها على المستوى الدولى ، وتدعيم السلام العالمى ، وتوطيد الصداقة والتعاون مع جميع الشعوب على قدم المساواة .

وهذا هو الطريق الصحيح الذى اكتشفه جمال عبد الناصر لسياستنا الخارجية ، وهو طريق معبد يمتد في موازاة طريقنا الداخلى ويلتقى به في عدة مواضع .

وكما لا توجد هناك قوة تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير في طريقه الداخلى الذى اكتشفه لبلادنا ، فانه لا توجد أيضا قوة في العالم تستطيع أن تصرفه عن السير في الطريق الخارجى الذى يتفق تماما ومصالحة بلادنا ، ومصالحة منطقتنا ، ومصالحة السلام العالمى كله .

وقد كان جمال عبد الناصر واثقا بنفسه تماما عندما دعم علاقات بلاده التجارية وغيرها مع المعسكر الشرقى . ولما ثارت الاكاذيب في البلاد الغربية ضد عبد الناصر تتهمه بالانحياز الى الشرق لم يابئه لها ، ومضى واثقا بنفسه في طريق الصداقة مع جميع الدول والشعوب !

والآن ماذا عسى أن يقول أولئك الذين أسرفوا في القاء الاتهامات جزافا على طريق عبد الناصر الخارجى ؟

لقد أصبح كل شيء واضحا الآن ، وأيقن كل الناس . من أصدقاء وأعداء ، ان طريق عبد الناصر الخارجى ، كان طريق بلاده الخاص ، وقد مضى فيه بلا انحراف ، وما يزال يمضى ، ولن يزال .

وفي الطريق الى القومية العربية ، مضى بنا جمال عبد الناصر ، كما مضى في طريق المجتمع الاشتراكى وعدم الانحياز .

وكان طريق القومية العربية أيضا يحتاج الى من يكتشفه على حقيقته ليسير فيه بشعبنا الذى طال انقطاعه عن أشرفائه العرب في مشرقهم ومغربهم .

ومرة أخرى ، لم يلجأ عميد الناصر الى النظريات الموضوعية عن القوميات لكي يستخلص منها موقفه وموقف شعبنا من قضية القومية العربية ، بل استطاع أن يستخلص من تجارب النضال العربى فلسفة القومية العربية ومنهاج الوحدة العربية .

واكتشف عبد الناصر خلال النضال العربى الذى قاده ، ان الوحدة

المنشودة بين أجزاء الوطن العربي لا يمكن أن تجيء قسرا ، ولا يمكن أن تتحقق عن طريق حربى كما تحققت وحدة ألمانيا وإيطاليا مثلا في القرن التاسع عشر .

واكتشف عبد الناصر فى القومية العربية طبيعتها الاجتماعية الثورية ، فهى ليست مجرد انضواء تحت راية واحدة وحكومة واحدة ، بل هى أسلوب ثورى لتحويل المجتمع العربى من مجتمع متخلف اقطاعى الى مجتمع متقدم صناعى ترفرف عليه العدالة الاجتماعية المتمثلة فى الاشتراكية العربية .

واكتشف عبد الناصر ان القومية العربية بطبيعتها معادية للاستعمار ، ولا يمكن أن تلتقى معه ، بل ولا يمكن أن تحقق أهدافها الا بنضال لا هوادة فيه ضد الاستعمار وعملائه .

وهكذا تكاملت بالتدرىج نظرية القومية العربية من خلال النشاط الثورى الذى قاده جمال عبد الناصر لتحقيقها ، وأصبحت لها جاذبية جماهيرية لا يمكن اغفالها فى أى مكان من الوطن العربى الكبير ، مهما كانت طبيعة الحكومات القائمة هناك .

وقد استطاعت هذه النظرية أن تفند كل الحجج الزائفة التى يتذرع بها بعض الحكام العرب لضم أجزاء من البلاد العربية اليهم عن طريق القوة .

فان محاولة ضم الكويت الى العراق ، أو محاولة ضم جزء من صحراء الجزائر الى تونس ، محاولتان تتعارضان مع طبيعة النضال العربى الذى يستهدف توحيد البلاد العربية ، عن طريق الاقناع والاجماع ، لا عن طريق الفتوح العسكرية .

وفى مواجهة أعداء القومية العربية ، لا يمكن للعرب أن يحرزوا النصر النهائى ، الا بالسمى الدائب للتضامن العربى ، باعتباره طريقا الى وحدة العرب .

ولو كانت الامة العربية قد سارت الآن فى طريق الوحدة الى حد كاف ، ما استطاع الاستعمار الفرنسى أن يبقى فى الجزائر ، وما استطاعت اسرائيل أن تبقى فى فلسطين ، ولاسترد العرب قطع الارض السليبية ، فى أطراف سورية كالاسكندرونة ، وفى أطراف العراق كعربستان ، وفى أطراف المغرب كموريتانيا ، وفى كل مكان آخر من بلاد العرب الفسيحة .

وبعد

فان البطل الذى قاد الثورة فى صبيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بروح فداىى لا ينتظر جائزة الفداء ، ما زال يقود هذه الثورة بعد أن شقت طرقها الثلاثة الكبرى : المجتمع الاشتراكى ، والقومية العربية ، وعدم الانحياز .

وقد تكاملت نظريتنا الثورية الآن ، وما زالت تكسب جديدا كل

يوم ، بفضل هذا الرجل المتواضع الذي يعمل ليل نهار كما يعمل
القدائيون *

وفي عيد الثورة العاشر ، ينحني التاريخ اجلالاً لأعمال عبد الناصر
الثورية ، ولكن عبد الناصر يظل كما كان دائماً فداًئياً منكراً لذاته ، يعمل
ويكتشف الحقائق خلال العمل ويعطي العمل الجديد كل الحقائق التي
اكتشفها خلال العمل القديم ، ومن خلال هذه الحقائق كلها تبرز حقيقة
الثورة الكبرى التي قادها عبد الناصر ، وسيظل يقودها الى أعظم الغايات ،
وأبعد الاهداف *

- تحية للثورة ، ثورة كل العرب *
- تحية لبطلها ، بطل جميع العرب *



من أجل
إشترائية
عربية
خالصة

— أبى ، لماذا تأكل اللحم، والفلاحون الذين يرعون الماشية ويربونها
لا يأكلونه ؟

وكان السؤال مفاجئاً للموظف النازح من بنى مر ، وهو يسمعه
لاول مرة من بين شفقتى ولده الذى لم يتجاوز الثامنة بعد .

والحق ان أكثر الفلاحين ما كانوا يأكلون اللحم على الاطلاق ، ولا
كان يفعل ذلك أحد آخر من أفراد أسر القرية التى نانت تمضى بها
الحياة ، تماما كما تمضى بالعشرات والمئات من الاسر التى كانت تعيش
لتعمل من أجل أن يتخم الآخرون من العاطلين الذين ورثوا البطالة مع
الثروة عن آبائهم وأجدادهم ليبيعثروا نتاج العرق والجهد الذى يبذله
الفلاحون ، فى دور اللهو والرقص والمواخير .

غير ان الرجل كان يعلم أن ولده على حق وانه كان يمكن أن يكون
واحدا من هؤلاء الذين يعيشون تحت سلطان الورثة العاطلين لولا انه
استطاع أن يرتفع بنفسه وعائلته عندما حصل على وظيفة فى الاسكندرية
بعيدا عن القرية .

ولم يعرف الرجل الطيب كيف يجيب ولده ، أما الولد نفسه فقد
عرف بعد ذلك بسنوات كيف يجيب عن السؤال الذى ظل يدور فى رأسه
كدوامة منذ ذلك اليوم ، حين استطاع أن يحقق بنفسه قانون الاصلاح
الزراعى وأن يسلم بيده شهادات التملك للفلاحين الذين كانوا كما
مهملًا ، ثم أصبحوا على يد فلاح بنى مر هم السادة أصحاب هذه الارض .

والذين عاشوا الايام الذليلة التى شهدتها مصر ، حين كان أصحاب
الكروش البارزة هم وحدهم أصحاب كل شىء ، ثم عاشوا الايام البيض
التي شهدتها مصر وهى تنفض عن نفسها ادران حكم فاسد سيطر على
قدراتها لسنوات رهيبية طويلة ، هؤلاء يستطيعون، أن يدركوا حقيقة
المعجزة التى انبثقت عنها أرض بنى مر ، المعجزة التى ظل أبناء هذا
الشعب يرفعون أكفهم كل يوم الى السماء من أجل أن تحدث ، وهم يهتفون
ويتضرعون : يا رب ، هل من معجزة ؟ هل من بطل يا رب ؟

ومن أعماق هذا الشعب جاءت المعجزة ، وانبتق بطل عملاق عرف كيف يزيح الكابوس الرابض على الانفاس ، ويضرب الضربة التي كان يجب أن تحدث قبل ذلك بسنوات طوال ، يوم وقف قائد آخر عملاق ، وفلاح أيضا يريد أن يستخلص حقوق الشعب من بين أنياب أسرة فاسدة ألقت بنفسها في أحضان المستعمرين ، وصرخ عميدها عندما سمع طلبات الشعب من فم أحد أبناء الشعب « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها . وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي ، وما انتم الا عبيد احساننا » .

وكانت هذه الصورة متيرة حقا ، صورة أن تكون مصر ضيعة تباع ونستري ويتصرف أصحاب الكروش الضخمة في أصحابها الاصليين من الفلاحين وكأنهم العبيد !

وانتفض عرابي وهو يهتف : لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا يعقارا . فوالله الذي لا اله الا هو اننا لن نورث ولن نستعيد بعد اليوم !

على أن « عرابي » وان فشل في تحقيق حلمه بسبب سلسلة من الخيانات والاحقاد والندالات التي كانت تسيطر على بعض الرؤوس ، لم ينس عملاق بنى مر هذا الحلم ، بل ظل يذكره ، حتى وقف ذات يوم بعد أن نفث يديه من الطغاة يعلنها في الناس قوية راعدة : « اذا قلت اننى أشعر بشعوركم ، فلأن قلبي من قلبكم ودمي من دمكم ، واحساسى من احساسكم . ولأول مرة فى تاريخ مصر استطاعت فئة من أبناء مصر أن تشعر شعورا متحدا قويا ، وأن تقيم على أرض مصر حكاما من أبناء مصر » .



وفى الحق أن سر عبد الناصر يكمن فى هذه الكلمات القليلة الصافية .

فهو واحد من أبناء الشعب تبلورت فى قلبه وعقله وضيميره ، صورة صادقة لحقيقة حياة هذا الشعب .

وكان جمال يعيش فى أعماق الصورة نفسها .

وكانت الصورة فى الحقيقة رهيبة مخزية ، فالشعب ، يجثم على أنفاسه أذئاب الاستعمار بكامل قذارتهم ودناباتهم ، والمجتمع عامر بالظلم الاجتماعى لا يدع فرصة لمصرى ليملاً رثيته بالهواء النقى .

والفساد والرشوة والنفاق هى العملة التى تتعامل بها كل الطبقات ، والديمقراطية الزائفة هى التى يغطى بها الجميع دكتاتورية الاستعمار والسراى !

وعاش عبد الناصر وفي الأعماق منه احساس بمسا يعينس فيه
الشعب . احساس ربما لم يدرك كنهه جيدا الا بعد أول ضربة هبطلت على
رأسه من عصا غليظة تفجر لها الدم وهو بعد لا يزال فى الثالثة عشرة .

وكانت الضربة اصابة واحدة من بين ضربات أخرى كثيرة أصابت
زملاءه الذين اشتركوا معه فى مظاهرة الاسكندرية التى خرجت تهتف
بسقوط الاستعمار وأذابه بعد أن ألقى اسماعيل صدقى الدستور ،
وأرسل زبائنه ليخنقوا صيحات الحرية فى حلوق المصريين .

فهناك فى ميدان المنشية بالاسكندرية كان جمال يرفع عذيره
الصغيرة بحياة مصر حين أقبل لوريان مليتان برجال البوليس انهالوا على
التلاميذ الصغار بهراواتهم الثقيلة ، وبدأ الطلبة يتفرقون فى زعر
وفجأة ، رفع أحد رجال البوليس هراوته وضرب بها الصبى الصغير ، ولم
يكد الفتى يقع على الأرض وهو يرفع يديه فى محاولة لحماية رأسه حتى
تقدم رجلان آخرا من رجال البوليس ورفعاه عن أرض الشارع فى
ضراوة ، على حين انهال ثالثهم عليه بالضرب مرة أخرى . وتدقق الدم
ساخنا من رأس جمال .

وعندما عاد جمال الى المدرسة كانت الضمادات فوق رأسه وشاح
شرف له بين زملائه ، وكانت جراح رأسه جزءا من تربيته السياسية
التى تلقاها وهو بعد طالب صغير ، ليشرع منذ ذلك اليوم فى المشاركة
فى الحركات السياسية واحدة بعد أخرى ، وليس له من هدف غير تحرير
مصر من النفوذ الاجنبى ونفوذ الحكام من أذئاب الاجنبى .

والحق ان النفوذ المزدوج الذى كان يسيطر على قدرات مصر كان
أثقل من أن يحتمله شعب مصر ، فهنا حكام اعتقدوا أنهم أصحاب كل
شئ ، وراحوا كاللصوص والخطافين ينهبون ويسرقون ويفعلون كل سبىء
وخبيث . أما كل الشعب فقد أظلمت الدنيا أمامه ، وهو لا يرى من حوله
سوى الفقر والمذلة والهوان والضياع .

وهنا مستعمرون ، كل بضاعتهم أنهم استطاعوا أن يستولوا على
بعض النفوس الدنيئة . ومنحوا أصحابها المال ، والمناصب ، والسلطة ،
والنفوذ ليستطيعوا أن ينفذوا من خلالهم الى أعماق الشعب ليطفئوا فيه
جذوة الحرية والنور والحياة !

وخلال هذا وذاك كان على الشعب أن يعيش ، وأن يحتمل ، وأن
يصبر ، فى انتظار المنقذ الذى يعطى ولا يأخذ والذى يستطيع أن يلغى
المبدأ القديم الذى يقول : كل شئ لى ولو على حساب الآخرين ، وأن يضع
بدله هدفا جديدا يقول : « كل شئ للآخرين ولو على حسابى » .

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حدثت المعجزة

وقاد جمال ثورة الملايين ، ثورة الشعب كله ، ثورة الفلاحين والعمال
والطلبة والموظفين والتجار ، ثورة كل فرد كانت تظله أرض مصر .

وكان قيام جمال بالثورة معجزة ، معجزة وصفها هو نفسه حين قال :

« لقد قامت الثورة ورتبت في جو من الفساد والرشوة ، وفي وقت يصعب أن تقوم فيه ثورة ، فقد كانوا يفرون كل الطوائف بالمال ، وبالرشوة ، ولكننا نحن رجال الجيش كنا نفكر في الشعب ، كنا نقارن دائما بين السير مع الشعب وفقراء الشعب والسير مع الشرفاء المزعومين ، فاترنا أن نسير مع الشعب في سبيل أهداف الشعب لرفع مستوى الشعب »

وقام الجيش بالثورة ، وكانت بواعث الثورة في نفوس رجاله هي البواعث نفسها في نفوس كل أبناء هذا الشعب ، انها ذلك الضيم الذي كان الشعب يشرب كأسه حتى الثمالة صباح مساء على أيدي فئة من الإعداء والدخلاء عليه .

انها ذلك الفقر الاسود الذي اجتاح أغلبية الشعب بغلظة لا ترحم ، لحساب فئة من المترفين لم يتفنوا في الحياة شيئا كما اتقنوا امتصاص الدماء .

انها ذلك الخوف الممقوت الذي سيطر على الناس الى الحد الذي جعلهم يكادون يخشون النحدث حتى الى انفسهم ، لكيلا تلمحهم من عيون الطغاة عين ، أو تسمعهم من آذانهم اذن !

انها ذلك الضعف أو الاستضعاف الذي طوى الشعب طيا ، وجعله لا يكاد يصدق تاريخه القديم ، ولا يكاد يثق بحاضره ، ولا يكاد يكون له في مستقبله أمل معروف !

والحق ، أن كل ذلك ، كان يوحد بين كل القلوب ، وكان هو نفسه الذي جعل الرداء العسكري الذي يرتديه رجال الجيش ليس أكثر من مجرد رداء اختارته الظروف لهم ، كما اختارت للعامل بدلته الزرقاء ، وكما اختارت للفلاح جلبابه الأزرق أيضا ، وربما كانت هذه الأزياء تفرق بينهم ، ولكنها تفرقة لا تعدو المظهر ، لا تعدو ذلك الرداء الذي يعطى الاجسام . أما النفوس ، والمشاعر ، والارواح ، والآلام ، والآمال فكلها واحدة ، كلها نبتت حين نبت الجميع من هذه الارض الطيبة ، وكلها نرعرعت حين ترعرع الجميع فوقها ، وكلها توحدت حين وحدت بين الجميع مياه النيل الخالد الذي ندين له بالحياة .

ومن هنا نجحت ثورة جمال ، بل نجحت ثورة كل الشعب .

وانطلقت الثورة في طريقها ، وعملاق بنى مر يعمل من أجل تحقيق أمجاد لهذا الشعب ، أمجاد كافح من أجلها الشعب سنوات وسنوات لكي يحقق لنفسه الحرية الحقيقية ، والديمقراطية الحقيقية ، والعدالة ، العدالة التي خذلوه وحطموه وأذلوه لكي يعجز عن الوصول اليها .

بالعرق ، والدّم ، والكفاح ، راح العملاق يحرز لوطنه انتصارا تلو انتصار ، ومفخرة بعد مفخرة ، كل واحدة منهن كانت تكفى لجيل من الاجيال ، لكي يفخر بها على مر الزمن وكر السنين .

وتوالت الامجاد .

طرد الطاغية ، وقضى على الاقطاع . وأممت القناة ، وهزمت الدول العظمى ، وقضى على احتكار السلاح ، وتحققت الوحدة ، وانشئ جيش قوى ، وأصبحت القومية العربية حقيقة واقعة .

غير أن الطريق الى كل هذه الامجاد كان سقاقا طويلا رهيبا عامرا بالمتاعب والاشواك والصعاب ، وكان من الممكن أن تقف بعض هذه المتاعب والاشواك والصعاب فى وجه أى زعيم فى أى مرحلة من مراحل الجهاد ، ولكن « جمال » كان رجلا غير كل الرجال ، عملاقا غير كل العمالقة ، معجزة غير كل المعجزات .

كان انسانا مؤمنا يعرف طريقه

كان مؤمنا بمصريته فعمل على أن يكون كل مصرى فخورا بمصريته : معترزا بها ، حريصا عليها .

وكان مؤمنا بعروبيته ؛ فبذل جهده ليرفع شعار القومية العربية ، ويمد يد العون لشعوب الوطن الكبير فى كفاحها ضد الاستعمار ، وضد الظلم ، وضد الفساد . .

وكان مؤمنا بوحدة وطنه فجهد ليوحد صفوفه ، فى جبهة متحدة تضم كل الطبقات وكل الناس ، وكل شعوب العرب .

وكان مؤمنا بالسلام فعمل من أجل صداقة الشعوب ، فى آسيا وافريقية ، ومحضى السلام فى أوروبا . ونجحت باندونج ، ونجحت أكرا ، ونجحت بريونى .

أما قبل ذلك كله فقد كان عبدالناصر مؤمنا بربه وبوطنه وبنفسه .

وبهذا الايمان كله ارتفع عبد الناصر ارتفع السّياسى الثائر الفتى المؤمن ، فلاح بنى مر ، ليصبح علما من اعلام الكفاح الحر فى كل هذا العالم الكبير .

بهذا الايمان حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه ولبلاده .

والتاريخ الذى يفتح عينيه جيدا ، هو الذى سيتحدث على الدوام عن معجزات ذلك الايمان .

بهذا الايمان حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه ولبلاده .

ولعل الاشتراكية العربية التي أرسى قواعدها وأقام دعائمها ووضع فلسفتها جمال عبد الناصر إحدى هذه المعجزات .

وكان لابد من أجل أن يحقق عبد الناصر هذه المعجزة أن يقود البلاد في معركة اجتماعية هائلة واسعة النطاق .

وكانت المعركة الاجتماعية هي وحدها إحدى المعجزات .

فالمعركة الاجتماعية التي يقودنا فيها عبد الناصر الآن ، إنما هي امتداد لمعاركنا الوطنية ضد الاستعمار ؛ بل إنهما معركة واحدة ذات مرحلتين أحدهما مرحلة الكفاح ضد الاستغلال الذي يمارسه المصريون والمتصرفون في مصر .

والقاعدة التي يسير عليها الاستعمار في نضاله من أجل البقاء ، هي القاعدة التي يسير عليها نفسها المستغلون الجشعون . إن الاستغلال مثل الاستعمار ، لا يتخلى عن مسرح التاريخ ولا يفسح مكانه إلا تحت ضغط قوة لا يستطيع أن يقهرها .

وتؤدي قيادتنا بزعامة عبد الناصر ، في معركتنا للتحرر الاجتماعي السور الذي أدته في معركتنا للتحرر الوطني .

في الماضي كان زعماء الأحزاب لا يفكرون في المساس بشبر من الأراضى الواسعة التي يضع الاقطاعيون أيديهم عليها ظلما وعدوانا .

ولم يكن السياسة والحكام يفكرون في تقليص أظافر الاستغلال الرأسمالي الذي يعتصر دماء شعبنا ويكدس الثروات الهائلة في أيدي عدد قليل جدا من المغامرين والوارثين .

وكان ذلك طبيعيا تماما ، لأن السياسة والزعماء القداماء ، كانوا هم أنفسهم من الاقطاعيين والرأسماليين ، أو كانوا ممن ترتبط مصالحهم بالاقطاعيين والرأسماليين فضلا عن الاستعماريين .

ولهذا كانت أعلى مراحل الكفاح الاجتماعي التي قادها زعماء الأحزاب تتمثل في مشروع كمشروع «الحفاة» ، أو «مشروع البر» ، وما إلى ذلك من المشروعات الوهمية التي لاهدف لها إلا تخدير الشعب وإيهامه بأن هناك اصلاحا اجتماعيا .

وقد نادت القيادات القديمة ، خلال صيحاتها الانتخابية ، بمحاربة الفقر والجهل والمرض ؛ ولكن ماذا حدث بعد تلك الصيحات ؛ لقد تفاقمت مشكلات الفقر والجهل والمرض ، واشتدت ضراوة الاقطاع ورأس المال الاحتكاري ، وازدادت قوة التحالف بين الرجعية المحلية وبين الاستعمار العالمي !

وعندما قامت الثورة في ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وجدت أمامها كل هذه المشكلات التي تخلفت عن الصيحات الانتخابية الجوفاء ، فقامت الثورة بأول عمل صحيح للقضاء على الفقر والجهل والمرض ، ونعنى به قانون الاصلاح الزراعي .

ولقد كان قانون الإصلاح الزراعي هو البداية فقط لأنه من غير المعقول أن تقلم الثورة برائن الاقسطاع ، ثم تترك مخالف رأس المال الاحتكاري ناشبة في عنق الشعب .

وهكذا صارت القوانين الاشتراكية في يوليو سنة ١٩٦١ لتفجر الثورة الاجتماعية ، كما تفجرت الثورة الوطنية من قبل .

ومضى عبد الناصر يقود الشعب في طريق ثورته الاجتماعية . ثورة الاشتراكية العربية المنشقة من أعماق شعبنا العربي . ليكتب مرحلة جديدة في تاريخ هذا الشعب .

وأول كلمة في المرحلة التاريخية الجديدة التي يقودنا الى ساحاتها الكبيرة رائدنا وزعيمنا جمال عبد الناصر ، انما هي « العروبة » .

ان العروبة هي الكلمة المقترنة بكل شيء يجري في حياتنا ، فاشتراكيتنا ليست مجرد اشتراكية ، ان لها صفة لازمة لا تنفصل عنها ، هي أنها اشتراكية عربية .

وبإعطاء اشتراكيتنا صفتها العربية ، نستعيد كل ملامح قوميتنا العربية التي حاول المستعمر طويلا أن يجردها منها ، ان أول شيء يفعله المستعمر عندما يحتل بلدا هو أن يجرده شعبه ؛ أو يحاول أن يجرده من شخصيته القومية .

وقد فعل الاستعمار كل ما في وسعه ليجرده شعبنا من قوميته ، وشعبنا الذي نعنيه هنا ، هو شعبنا الكبير في الوطن العربي لا شعبنا العربي في مصر فقط .

وقد تحمل الشعب العربي في مصر نصيبا ضخما من محاسنالات الاستعمار لتجريد العرب من شخصيتهم .

فقد قضى الاستعمار العثماني مثلا أربعمئة سنة يحاول أن يجعل مصر مجرد « اية » عثمانية مقطوعة الصلة بماضيها العربي العريق .

وكما فعل الاستعمار العثماني في مصر ، فعل في العراق وسورية وليبيا والجزيرة العربية وكل بلد عربي احتله العثمانيون .

ولكن التاريخ اكتسح الاستعمار العثماني ؛ والقى به في سلة مهملاته ، وأتاح للشخصية العربية أن ترفع رأسها ، وتسترد طابعها ، وتنفض عنها غبار القرون الأربعة الطوال التي جرت خلالها محاولات « تريك » العرب وخاصة المصريين ، أي تحويلهم من عرب الى أتراك !

والذين هبوا أخيرا يحملون على مصر ويشككون في كفاحها العربي ، وخاصة أولئك المجرمين الذين يرمون مصر بأنها « فرعونية » ويفصلونها بهذا الادعاء الباطل عن كفاحها ذاته ، كفاحها من أجل الحفاظ على شخصيتها العربية في مواجهة الاحتلال العثماني ثم الاحتلال الفرنسي ، والاحتلال البريطاني . وقد استغرقت هذه الفترات الثلاث قرابة خمسمائة عام .

وأخيرا جاءت الاشتراكية العربية التي وضع أسسها جمال عبد الناصر فبرهن بدليل رافع لا يمكن دحضه على أن الشخصية العربية ؛ كانت دائما محور كل نضال وطني أو اجتماعي في مصر ، وان الشخصية العربية ستظل الى الابد محور كل نضال في مصر في المجالين السياسى والاجتماعى .

وعندما وضع عبد الناصر أساس هذه الاشتراكية الجديدة وصفها منذ أول لحظة بأنها اشتراكية عربية ، فما معنى هذا الوصف ؟

ان معناه بسيط ولكنه عميق : فأما بساطته ، فمؤداها ان بناء المجتمع العربى الجديد الذى نواجه به متطلبات النصف الاخير من القرن العشرين وما يليه من اجيال ، هذا البناء عربى صميم لا نقلد به بناء يقوم فى بلد أجنبي .

وأما العمق الذى ينطوى عليه ، فمؤداه أن الشعب العربى لم يشأ أن يسلك طريقا سهلا فيستورد نظاما ويطبقه ، بل أراد أن يكتشف بنفسه القوانين الموضوعه لتطور كيانه القومى والسياسى والاجتماعى ، ثم يقيم مجتمعا عربيا خالصا ، تظلمه العدالة والكفاية فى ضوء هذه القوانين الموضوعه .

ومن هنا بدأ المجتمع الجديد الذى حققه الرائد العربى فى ازالة استغلال الانسان للانسان ، لأن المضمون الاجتماعى للقومية العربية لا يتضمن استغلال عربى لعربى ، ولا يقصر استغلال طبقة عربية لطبقة أخرى ، فالمضمون الاجتماعى العربى فى أقصى مداه، وهو المساواة التامة، ستفرضها تطورات التاريخ برغم كل الارادات البشرية التى تحاول أن تعرقل هذه التطورات الحتمية .

ولكن بناء الاشتراكية العربية ليس معناه أننا نتنكر للتراث الانسانى الكبير ، فليست العروبة تعصبا قوميا أعمى ، بل هى تعاون مع كل القوميات الأخرى ؛ والاستفادة من تجاربها الناجحة ، والاضافة الى هذه التجارب الناجحة تجارب عربية لا تقل عنها نجاحا .

وهناك قاعدة علمية لا ينكرها الاّن أحد ، وهى أن كل الشعوب ستصل الى الاشتراكية ؛ ولكن الوصول الى الاشتراكية سيتمم بعدة طرق لا بطريقة واحدة .

ان كل شعب سيصل الى الاشتراكية بأصالته القومية وتراثه وبدون أن يفرض عليه أحد طريقا أجنبيا للاشتراكية .

والآن ماذا نرى ؟ اننا نرى الاشتراكية فى الهند تسلك طريقا غير الطريق الذى سلكته فى الصين ، وتسلك فى الصين غير الطريق الذى تسلكه فى غينيا أو فى غانا ، أو فى كوبا أو فى الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية أو فى بعض دول بحر البليق كالسويد .

ان الظروف الواقعية الصلبة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند بناء

الاشتراكية وهذا ما يمنح التجربة الاشتراكية التي أرساها عبد الناصر أهمية فائقة لأنها تعكس شعبنا بشخصيته العربية الخالصة .

وهذا هو بالضبط ما عناه عبد الناصر من قوله ان « العربية ، أول كلمة في تجربتنا الاشتراكية ، لأنه لا يمكن فصل هذه الكلمة بآية حال عن تجربتنا الاجتماعية الاشتراكية ؛ إذ ان اشتراكتنا هي المضمور الاجتماعي للقومية العربية كما ثبت لنا خلال نضالنا القومي بالذات .

وقد كافح شعبنا في مصر دهرا طويلا بكل قوة وصلابة ، وقاوم المستعمرين الوافدين عليه من تركيا أو فرنسا أو بريطانيا حتى انتصر عليهم .

وفي خلال كفاحنا ضد الاستعمار البريطاني كانت الأوضعا الاجتماعية في بلادنا قد أخذت شكلا جديدا غير الشكل القديم الذي كانت عليه خلال كفاحنا ضد الاستعمار العثماني .

لقد ظهرت في عهد الاحتلال البريطاني زعامات الطبقة الوسطى او « البورجوازية » كما يسمونها في أوروبا وقادت هذه الزعامات أحزابا مختلفة كانت تنادي بالاستقلال والحرية ولكن هذه الزعامات والأحزاب أفلست بالتدريج خلال كفاح سبعين سنة ضد الاستعمار البريطاني .

ولم تنشأ في مصر قيادة شعبية تنتمي الى العمال والفلاحين والمنفقين وفئات الشعب الفقيرة الكادحة ، ولهذا حدثت في النهاية أزمة كبيرة في النضال الوطني وركدت الحركة الوطنية ولم يعد ثمة أمل واضح للخروج من هذه الأزمة الا بانبثاق قيادة جديدة تماما قيادة شعبية تمسك بيديها زمام الحركة الوطنية وتربطها برغبة الشعب في العدالة الاجتماعية . وحققه فيها .

وفي ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ بزغت هذه القيادة المنشودة . وفجرت الثورة الكبرى ضد الاستبداد الملكي والاقطاع والاستعمار .

واستطاعت القيادة الثورية أن تعكس في تورتها كل الشروط الخاصة بالحركات الشعبية الصميمة بل كانت هذه القيادة الوطنية سببا مباشرا في اندفاع تاريخ بلادنا بسرعة أكبر بكثير من السرعة التي كان مفروضا أن يمضى بها في اتجاه الأمانى الشعبية .

ولهذا السبب أحاطت جماهير الشعب قيادتها الوطنية بكل تأييدها ، وأصبح عبد الناصر قائدا ورائدا للشعب معبرا عن أمانيه .

وامتزج النضال في سبيل الجلاء والحرية امتزاجا تاما بالكفاح الاجتماعي من أجل العدالة الاجتماعية ، ورفعت الثورة التي تزعمها رائد الشعب منذ البداية ، شعار « منع سيطرة رأس المال على الحكم » ؛ ولم يكن ذلك مجرد شعار بل كان سياسة صلبة سارت عليها الثورة بكل حزم مع سياستها الحازمة الأخرى ضد الاقطاع .

وهكذا راح عبد الناصر يرسى دعائم معجزة جديدة الى جانب معجزات أخرى كثيرة .

وزعامة جمال عبد الناصر التي أهدتها الاقدار الى شعبنا بعد انتظار طويل ، انتصر شعبنا في معركة الوطنية ، وطرد المستعمرين من منطقة القناة ، ومن بور سعيد .

وزعامة جمال عبد الناصر انتصر شعبنا في معركة الاجتماعية ، واصبح الشعب سيد نفسه ، وصاحب مصيره وبدأ يبني مجتمعه الاشتراكي الثوري الجديد على الأسس الصحيحة للاشتراكية النابعة من حاجات شعبنا وظروفه وأهدافه .

وقد استطاعت قيادة عبد الناصر أن تحقق لشعبنا انتصاره الاجتماعي ، لأن عبد الناصر رجل من الشعب والى الشعب ؛ وليس له أدنى مصلحة تربطه بمصالح مستثمري الشعب من الاقطاعيين وجبايرة رأس المال والاستغلال الاحتكاري .

ولأن جمال عبد الناصر رجل من الشعب انتصر شعبنا بزعامته . في معركة ضد المستعمرين أعداء الشعب أيضا وسيظل شعبنا يحرز الانتصارات الكبرى تحت زعامة جمال عبد الناصر ، حتى يملأ صفحات التاريخ .

المعركة ضد الاستعمار



لم تكن قيادة عبد الناصر قيادة محلية فحسب ؛ بل كانت قيادة عرفت كيف ترسم الطريق لكل شعوب أفريقية والشعوب الأخرى التي تهدف الى التحرر من نير الاستعمار .

ومن أجل ذلك حارب الاستعمار تلك القيادة المتحررة حربا شعواء بلغت القمة عندما بدأ العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

ففي ذلك العام جلت قوات الاحتلال عن بلادنا لأول مرة منذ سنة ١٨٨٢ ، ثم عادت ومعها قوات احتلال جديدة بدفعها عدوان بربرى ، وحقق دموى على القيادة الوطنية التي أمسكت بزمام الامور في بلادنا بعد أن طال غيابها عن مسرح الحوادث خلال عهد الاحتلال البريطاني الخالك المديد .

ولكن القيادة الوطنية استطاعت ان تصمد للعدوان الاستعماري الثلاثي ، ولم تتخل عن مكانها الذي وضعتها فيه اعماق التطورات التاريخية في حياة شعبنا وحياة الشعوب كلها في العصر الحديث .

ومن هنا بالذات نستطيع ان ننظر الى معركة بور سعيد ، على انها معركة القيادة الوطنية للشعب العربي وقد اجابت الحوادث فيها على هذا السؤال :

— هل تبقى القيادة الوطنية على رأس الشعب العربي أو تستسلم للاستعمار وتخلي مكانها لقيادات غير وطنية تنفذ توجيهات المستعمرين والصهيونيين ؟

اجابت حوادث سنة ١٩٥٦ المدوية عن هذا السؤال ، بطريقة فذة ، فان الشعب هو الذي قال لاعداء قيادته الوطنية : « ستبقى قياداتي الوطنية » ومن أجل هذه الكلمات الثلاث المقدسة حمل الشعب السلاح واستشهد من رجاله ونسائه وأطفاله الكثيرون حتى فرض ارادته ، وخرج من معركته ضد المستعمرين والصهيونيين ، وعلى رأسه قيادته الوطنية التي فتحت له أبواب الجهاد ضد هذه القوى الشريرة المعادية لحريته وتقدمه ووحدته .

ان القيادة الوطنية للشعب العربي هي احدى المسائل العويصة
التي طرحها عليه تاريخه الطويل ، فليس الشعب العربي بضعة ملايين
من البشر في رقعة صغيرة من الارض وانما هو أمة كبيرة تمتد أراضيها
في قارتين ، وتطل على جيران كثيرين ، وتتفاعل مع ظروف مختلفة شديدة
التعقيد .

وقد استطاع شعبنا أن يحل مسألة القيادة الوطنية في ظروف
كفاحه الذي امتد مئات السنين ، وكلما امتد الكفاح أصبح دور القيادة
الوطنية حيويًا في مصير شعبنا ولم يعد دورها محليًا لأن الشعب العربي
استيقظ لوحده ، وتنبه لمجتمعه القومي العادل الذي لا بد من بنائه .

وفي معركة العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ كان شعبنا يعرف جيدا
أن العدوان يستهدف تدمير قيادته الوطنية كما يستهدف تدمير حرية
واستقلاله ، ولم يكن العدوان يستطيع أن ينفذ هدفا الا بتنفيذ الهدف
الآخر ، فان الاستقلال والحرية لا يمكن تدميرهما ما بقيت القيادة
الوطنية ممسكة بزمام الأمور ؛ ولا يمكن كذلك أن يمسه الاستعمار
مركز القيادة الوطنية ما دام بلدنا حرا مستقلا ، ولهذا خسر الاستعمار
معركة الشرق العربي كله عندما خسر معركة بور سعيد ، لأن الشعب
العربي خرج من هذه المعركة وقد سجل انتصاره الذي يتضمن بوضوح
رائع انتصار قيادته ، وكانت هذه هي الخيبة الكبرى لاحلام الاستعماريين
والصهيونيين ، كما كانت هي الانطلاقة الكبرى لشعبنا الظافر في ظل
قيادته الوطنية الظافرة .

والواقع أن الاستعمار أذهله أن تظهر في الأمة العربية قيادة تعمل
في سبيل تحقيق الأهداف التي يحاول الاستعماريون منع الأمة العربية
من تحقيقها . فالقيادة الوطنية للأمة العربية المثلة في الرئيس جمال
عبد الناصر قد طردت عملاء الاستعمار عن كراسي الحكم في القاهرة منذ
ثمانى سنوات ، ومنذ اليوم بدأ واضحا أن القيادة الوطنية في
الشرق العربي قد ولدت ، وان أمامها ككل مولود جديد طريقا طويلا
للكفاح والنمو وتخطى الحواجز التي تملأ الأرض ، وهي حواجز عتيقة
شرسة غرسها الاستعمار في أرضنا منذ عهود سحيقة فأصبحت لها قوة
ثبات هائلة أخافت في الماضي القيادات الوطنية المحلية ؛ بل واستطاعت
أن تمنع هذه القيادات من كل خطوة أرادت ان تخطوها في الطريق
الصحيح .

ولكن هذه العقبات التي تعثرت فيها خطوات بلادنا في مراحل
كفاحنا السابقة لم تستطع أن تملأ عيون قيادتنا الجديدة بمنظر الغول
المخيف .

ان « جمال عبد الناصر » بطل قيادتنا الوطنية العربية الجديدة لم
يقبل كما قال سعد زغلول : « هل عندكم تجريدة ؟ » وكان « سعد » يريد
بذلك أن بلادنا لا تملك قوة مسلحة ترد بها كيد الاستعمار ولم يكن
تطور كفاحنا حين ذاك يسمح لسعد زغلول أن يمد بصره الى أبعد من هذا
السؤال ، كان لا يستطيع الاجابة عن هذا السؤال ، وكان أيضا ككل

زعماء تلك المرحلة من كفاحنا يحصر نفسه فى الدائرة المحلية الضيقة التى تحدها الاسكندرية شمالا وأسوان جنوبا . ومن البديهي أن الحركة الوطنية حين ذاك كانت تتمنى أن تكون فى يد شعبنا قوة ينتزع بها استقلاله ويحميه من العواصف والاطماع . ولكن القيادة المحلية ؛ برغم كل النيات الحسنة ، لم نستطع أن نضع فى يد شعبنا أية قوة يرفع بها رأسه فى مواجهة المستعمرين .

وفى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ظهرت حقائق ضعفتنا أمام أعيننا ، وكانت حقائق مفزعة مخزية أنارت ضمير شعبنا وفجرت فى أعماقه ثورته التى علاها الرماد فى سنوات الاسترخاء السياسى بعد ضياع الأهداف الوطنية لثورة ١٩١٩ .

وعندما تسلم جمال عبد الناصر قيادة شعبنا الوطنية كان مطروحا أمامه السؤال الذى جرى على لسان سعد زغلول قبل ثلاثين عاما ، وكان السؤال مازال يقول لكل الوطنيين : هل عندكم تجريدة ؟

ولم تتفانس هذه القيادة الوطنية عن النهوض بكل مسؤوليتها للججابة عن هذا السؤال الصارخ الذى تحطمت على صخرته أحلام شعبنا فى الماضى ، وتلاعبت عليه أهواء الزعماء المحليين والساسة ومحترفى الحكم .

ولسنا فى حاجة اليوم أن نروى قصة القوة وكيف حصلت عليها قيادتنا الوطنية ووضعتها فى يد شعبنا ، فقد أصبحت هذه القصة فضلا من تاريخ عصرنا بأكمله ، وأصبحت القوة حقيقة واقعة من حقائق الحياة التى يعيشها شعبنا الآن فى ظل قيادته الوطنية .

وفى معركة بور سعيد الخالدة كان الاستعمار يستهدف القضاء على هذه القوة بمعنى أنه كان يريد القضاء على القيادة الوطنية التى صنعت هذه القوة ، كما كان يريد القضاء على مقاومة شعبنا الذى أصبحت فى يده هذه القوة بفضل قيادتنا الوطنية . وهكذا ، فإن الاستعمار فى عدوانه الثلاثى كان يستهدف فى الواقع تدمير كل تطورنا الجديد ويريد ردنا الى العهد الذى كنا فيه نعيش وراء أسواره وداخل حظائره ، ونلقى الوحي والأوامر من عواصمه وممثليه وعملائه .

ولكن الحسابات التى وضع الاستعمار أرقامها فى دفاتره قد خابت كلها ، وتخبطت فى الخطأ بعد الخطأ وآل أمرها الى فشل وبوار وخسائر مبین .

وخرجت القيادة الوطنية ظافرة من المعركة، ولم يستطع الاستعمار أن ينال شيئا من القوة التى وضعها بطل القيادة الوطنية جمال عبد الناصر فى يد شعبه ، وكانت هذه هزيمة ماحقة للاستعمار العالمى كله ، وللصهيونية حليفته، ونصرا تاريخيا بالغ الروعة، عميق الاثر ، لشعبنا فى مصر ، وللامة العربية فى وطنها الكبير ، ولحركة التحرير الوطنى كلها فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وللمناضلين فى سبيل السلام العالمى فى كل مكان .

وكسفت هذه المعركة أن الاستعمار العالمي الذى مازال يحتفظ بملاحم الأسد وشكله وزئيره ، قد تحول الى أسد من الورق المقوى ، لا حول له ولا طول ، ولا قدرة له على رد التاريخ الى الوراء .

ولكن كيف حدثت هذه المعجزة الكبرى من معجزات التاريخ ؟

لقد كانت القيادة الوطنية هى الرائد الذى مكن للشعب انتصاره النهائى على الاستعمار فخرج المستعمرون من بور سعيد ، ولم يدخلوا مستعمرون آخرون .

وكانت هذه حادثة تاريخية « كبرى » تقع فى بلادنا لأول مرة فى تاريخها منذ عهود سحيقة .

وقد سجل شعبنا هذه الحادثة التاريخية لتكون قدوة لجميع الشعوب فى العصر الحديث ، عصر انهيار الاستعمار العالمى وانتصار حرية الشعوب .

انتصار شعبنا فى بور سعيد مرتبط اذن بحالة الانهيار النهائى للاستعمار العالمى لقد أصبح شعبنا وبقية الشعوب أقوى من الاستعمار ، ولم يعد فى طاقة الاستعمار أن يقهر شعبا كشعبنا ، يملك القوة المعنوية والمادية والقيادة الوطنية المحنكة المتفانية فى خدمة أهداف التحرر الوطنى .

ومعنى ذلك ان انتصار بور سعيد لم يكن ممكنا أن يتحقق، ل مجرد حالة الانهيار التى يعانىها الاستعمار ، وانه كان لابد لتحقيق ذلك النصر من وجود قيادة وطنية مخلصه ذكية .

ان الاستعمار مهما عانى من الانهيار المادى والمعنوى لا يمكن أن يتخلى عن مواقفه طوعا واختيارا ، لأن طبيعته المستغلة الجشعة تجعله يتشبث بالأرض التى يجتلبها حتى تطرده منها عوامل عميقة تتضافر على انتزاعه انتزاعا .

ولولا أن مصر كانت فى سنة ١٩٥٦ تحت قيادة وطنية ، ما استطاع شعبنا أن يكتل جهوده للظفر فى معركة بور سعيد .

بل ان قيادتنا الوطنية هى التى خلقت بكفاحها الموقف الذى وجد الاستعمار معه أن مصالحه الحبيثة مهددة بالاقتراع من مصر .

فقيادتنا الوطنية هى التى حاربت الاحلاف الاستعمارية فى الشرق العربى والشرق الاوسط بوجه عام، حتى أصبح حلف بغداد مجرد ورقة وقعها حكام خونة ولم تجد لها سندا من الشعوب .

وقيادتنا الوطنية هى التى رفضت الصلح مع اسرائيل ، فقلبت بذلك خطط الصهيونية والاستعمار فى الشرق الأوسط رأسا على عقب، ثم خطت قيادتنا الوطنية خطوة أكبر عندما كسرت احتكار السلاح ، واستطاعت بذلك انشاء جيش وطنى قوى يصمد فى وجه المستعمرين .

وقيادتنا الوطنية هى التى أمتت شركة قناة السويس ، فضربت

مصالح الاستعمار ضربة فاصمة ، جعلته يقتنع تماما بأنه لا سبيل الى التفاهم مع مصر الا بقوة السلاح .

وهكذا فان خطوات التحرر الوطنى التى رسمتها القيادة الوطنية للشعب العربى فى مصر ، اصطدمت مباشرة مع مصالح الاستعمار ، فكان العدوان الثلاثى الفاشل المشهور .

ولو بقيت مصر تحت القيادة القديمة التى كانت قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لاستمر الاستعمار ، برغم ضعفه وانهيائه ، يمارس استغلاله للشعب المصرى ، ويحتل بقواته أرض مصر .

وقد كان اضطرار الاستعمار الى العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ دليلا قاطعا على أن القيادة الجديدة التى انبثقت فى القاهرة ، مختلفة عن القيادة القديمة اختلافا جذريا .

فالقيادة القديمة ، كانت مؤلفة من القصر الملكى ورجال السياسة الحزبية والرأسماليين والاقطاعيين .

وكانت مصالح هذه القيادة الرجعية الاقطاعية الرأسمالية بزعامه الملك ترتبط تماما بمصالح الاستعمار العالمى ، كانت كل ضربة توجه الى الاستعمار فى الواقع ضربة توجه الى القيادة الرجعية الحائنة المتحالفة مع الاستعمار .

ومن البديهي أن استمرار هذه القيادة المؤلفة من رجال الطبقات الرجعية والاحزاب المضالمة ، فى حكم بلادنا ، كان تأمينا للمواقع الاستعمارية التى يهددها الانهيار .

وبفضل التحالف الوثيق بين القوى الاستعمارية العالمية ، والقوى الرجعية المحلية كان الاستعمار يحافظ على مواطى أقدامه فى بلادنا ، وينعم باستغلال شعبنا وامتصاص ثرواته .

ولم يكن معقولا لو استمرت هذه الاوضاع ، أن تنشب معركة فى بور سعيد، أو فى غير بور سعيد من مدننا ، بين شعبنا وبين القوات الاستعمارية المعتدية .

غير أن هذه الاوضاع لم تستمر ، واستطاع جمال عبد الناصر الفائد الجديد للشعب ، أن يضرب مصالح الاستعمار باستمرار ، حتى وجد الاستعمار أنه لا سبيل الى التخلى من قيادة عبد الناصر ، واعادة القيادة القديمة الا بالعدوان المسلح !

والاستعمار يعميه جشعه عن رؤية الحقائق ، برغم ما هو معروف من طول تجارب رجال الاستعمار ودهائهم ولهذا فان الاستعمار تصور انه من الممكن عزل القيادة الجديدة ، كما كان فى الماضى يعزل من يشاء من رجال القيادة الاقطاعية الرأسمالية الرجعية .

لقد كان السفير البريطانى يعزل رؤساء الوزارات ، فخيلى الى البريطانيين أنهم يقصدون فى سنة ١٩٥٦ على عزل الوزراء المصريين ، واقامة حكومة جديدة بدلا من حكومة عبد الناصر .

وكان هذا منتهى المبالغة فى الخيال من جانب الاستعماريين ، لأنهم لم يدركوا الفارق الاساسى بين القيادة الرجعية القديمة التى لم يكن لها أى ارتباط ، بالشعب ، وبين القيادة الجديدة التى تستمد وجودها نفسه من الشعب .

وعندما وقع العدوان الثلاثى . ونزل المعتدون فى بور سعيد بدءوا يتصرفون بوحي من هذا الاعتقاد الخاطيء الذى ملأ صدورهم ، فخييل اليهم أن الشعب سينفض من حول قائده . ولكن الشعب قابل المعتدين بالحديد والنار ، وبذل دمائه بسخاء دفاعا عن أرضه ، وعن قيادته الوطنية .

ولم ينس أحد بعد معارك الفدائيين فى بور سعيد خلال الاحتلال البريطانى الفرنسى ، ضد جنود الاحتلال ، بسبب اصرار الفدائيين على لصق صورة جمال عبد الناصر على جدران بور سعيد ، واصرار المعتدين على نزع الصورة ، فكان المعتدون ينزعونها ، وبعد ساعات يجدون جدران بور سعيد مغطاة بمئات من صور عبد الناصر .

ان هذه الحوادث كانت لها دلالتها العميقة . لقد برهنت على أن الشعب متعلق بقيادته ، مستعد للتضحية فى سبيل تمكينها من أداء مهمتها التاريخية النبيلة .

وقد برهنت التطورات التى حدثت بعد معركة بور سعيد على أن القيادة المصرية العربية الجديدة ممثلة فى الرئيس جمال عبد الناصر ، كانت فى مستوى مهمتها التاريخية ، وقد أدتها بأمانة وكفاية واخلاص ، بعد انتصار بور سعيد فى سنة ١٩٥٦ كما أدتها من قبل منذ فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

لقد كان الخط البارز فى انتصارنا على الاستعمار سنة ١٩٥٦ : يتمثل فى التغير الاساسى الذى طرأ على كفاح الشعب المصرى بفضل قيادته الجديدة التى أهدها اليه ثورة ٢٣ يوليو بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر .

وليس صحيحا بحال من الاحوال أن حالة الاستعمار الراهنة ، حالة التفكك والانهييار التى يعانىها فى كل مكان فى العالم ، كفيلة وحدها يخرجها من المستعمرات وأشباه المستعمرات التى يحتلها .

ان الذى يرغب الاستعمار على الخروج من مواطنه اقدمه ، هو الكفاح الوطنى الصحيح تحت قيادة لاترتبط مصالحها أو بعض مصالحها بالاستعمار ووجوده فى بلادها .

وجمال عبدالناصر هو القائد الوطنى الذى اكتمل فيه هذا الشرط ، انه القائد الذى لاترتبطه بالاستعمار أية مصلحة ، وبالعكس ، ان جميع

المصالح التي يعمل من أجلها عبد الناصر تصطدم مباشرة بمصالح الاستعمار العالمي .

ولم تكن هزيمة الاستعمار البريطاني والفرنسي ، ومعهما اسرائيل . مهمة سهلة ، بل كانت مهمة معقدة نحتاج الى جهود جبارة بالرغم من اعترافنا بأن الاستعمار لم يعد قويا كما كان ، ولم يعد سهلا عليه أن يتغلب على الشعوب ، كما كان يفعل في الماضي .

ولكن قهر الاستعمار ليس نزهة ، ولو كان هو الاستعمار البرتغالي الشائخ الذي يكاد يلفظ أنفاسه ، فهانحن أولاء قد رأينا بأعيننا أن نهر ورجل السلام العالمي قد اضطر الى أن يحرر جزءا من بلاده بحد السلاح بالرغم من أن الهند كلها ظفرت بالاستقلال عن طريق المفاوضات .

ان معركة جوا الصغيرة في الهند التي خاضها الاستعمار البرتغالي ضد الشعب الهندي ، لهى الدليل الذي لا يدحض على أن الاستعمار العالمي لا يفكر اطلاقا في أن يتخطى عن شبر من الارض التي يستعمرها طائفا مختارا .

وهذا التصميم الاستعماري الدنيء ، هو الذي واجهه عبد الناصر في سنة ١٩٥٦ وقهره ، وانتزع منه انتصار بور سعيد العظيم !

وقد أطلقت معركة بور سعيد كل امكانيات القيادة الوطنية في بلادنا ولهذا كان التطور الطبيعي التالي للمعركة هو قيام الوحدة بين سورية ومصر وظهور أول دولة كبيرة للعرب بعد انهيار آخر دولة لهم تحت سنابك خيل العثمانيين في معركة مرج دابق سنة ١٥١٧ .

وهذه الدولة الكبرى ، ودعك من النكسة الانفصالية البائدة ، ليست مجرد دولة مترامية الأطراف غنية بمواردها الطبيعية وامكانياتها البشرية ، وانما هى قاعدة للعرب جميعا ، هى كما قال الرئيس جمال عبد الناصر « طليعة للكفاح العربى وقاعدته » .

وقد كان من البديهي بعهد ظهور القيادة الوطنية للعرب أن تكون الدولة التي قامت على يد هذه القيادة ، طليعة لكفاح الامة العربية وقاعدة له ، لان هذه القيادة بالذات هى طليعة الكفاح العربى الذى وجد في هذه المرة طريقه الصحيح ، وأصبح الاستعمار عاجزا عن قهره وأخضاعه كما فعل في الماضي بانتفاضات الامة العربية المتفرقة .

من أجل ذلك أعلنت الجمهورية العربية المتحدة أنها تضع كل امكانياتها لتحرير الجزائر الشقيقة ، لان تحرير الجزائر ليس عبئا على ابنائها وحدهم ، الذين واجهوا أعتى القوى في العالم وقاتلوا كتلة من الدول الاستعمارية حتى تم لهم النصر .

وفي سبيل تحرير الجزائر دخلت الدولة العربية وقيادتها الوطنية في معركة ضد القوى التي تحارب الجزائريين ، ضد فرنسا التي رفعت طوال ١٣٢ عاما رايتهما فوق جزء كبير من أرض الجزائر ، وضد دول حلف الاطلنطى التي كانت تمد فرنسا بالمال والرجال والاسلحة وتساعد على ازهاق الارواح وتشريد الاطفال والنساء .

وحين دخلت القيادة الوطنية في بلادنا معركة الجزائر بكل
الإمكانات اللازمة لاحتراز النصر ، لم تكن ترى هذا عملا ثانويا ، ولا تخطيا
لالتزاماتها ، لأن هذا العمل من صميم واجبات القيادة الوطنية
للشعب العربي الذي لا يرى أى فارق بين أرض الجزائر وأرض مسقط
وعمان وجنوب اليمن وفلسطين وأية أرض عربية أخرى يقوم فيها صراع
ضد الاستعمار والصهيونية .

ومن هنا كانت بور سعيد هي نقطة الانطلاقة الكبرى بقيادة الرئيس
جمال عبد الناصر ، الذى تمثل فيه القيادة الوطنية للامة العربية .

وقد كانت معركة بور سعيد أشبه بنار برهنت على أن هذه
القيادة عرق من الذهب الخالص لارتزده النار الإلمانا وبريقا ، ففي
هذه المعركة ، معركة الحياة أو الموت ، بدأ بشكل مثالى ، مدى تمسك
القائد الوطنى جمال عبد الناصر بمبادئ الامة التى يقودها ، وفي أحلك
ساعات المعركة ، ظل قابضا على حرفة هذه المبادئ ، فلم يخطر له مثله
وقد هاجمته دولتان من الكتلة الغربية ، أن ينحاز الى الكتلة الأخرى .
لأنه كان يقاتل في سبيل تثبيت مبادئه التى لا يحد عنها .

وهذا هو الجوهر الاصيل للقيادة الوطنية العربية كما يمثلها جمال
عبد الناصر ، جوهر الامة العربية التى تستمد من ذاتها أسباب قوتها ،
وتأخذ من قوميتها أسلوب تطورها وتجدها ، وتمد للعالم كفيها بالسلام
والصداقة في الوقت الذى تحرص فيه على استقلالها وشخصيتها
وتقاليدها وتراثها الجليل .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذى يتمثل في جمال
عبد الناصر ، هو الذى جذب ولاء الشعب للقيادة ، وأعطى الامة كلها
الروح المعنوية التى قاتلت بها في معركة العدوان الثلاثى ، وأثار في شعب
بور سعيد أعماق تقاليد البسالة والفروسية التى قاتل بها أبناء الساحل
المصرى قوات المغيرين على مدى الدهور من الصليبيين بقيادة لويس
الناسع الى الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين الذين جاءوا ببوارجهم
من قبرص في سنة ١٩٥٦ .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذى يتمثل في جمال
عبد الناصر هو الذى أعطى الامة العربية انتصاراتها الحديثة ، فبمث
قوميتها وبنى أول دولة موحدة لها تحولت الى طليعة وقاعدة للتحرر
والوحدة ، وجعل زعامة الامة العربية في شخص جمال عبد الناصر ذات
أثر ضخم في توجيه الاحداث في العالم كله ، ووجيا ثوريا يستمد منه
الإلهام كل الاحرار وكل الثوريين في أفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ان التقاء الثورة العربية بثورة الكونغو أو ثورة كوبا أو ثورة أى
بلد يحارب الاستعمار ، ليس طموحا غير مشروع للعرب كما يزعم
الاستعماريون وعملاؤهم وإنما هو التقاء طبيعى بين التيارات التى تتحكم
في عصرنا وتوجه سيره الحتمى نحو القضاء على الاستعمار وقرار السلام
العالمى والنهوض بحياة الشعوب التى منعمها الاستعمار طويلا من التطور
المستقل وبناء حياتها الاجتماعية .

وكفاح القيادة العربية متمثلة في جمال عبد الناصر من أجل السلام
العالمي ، ليس خروجاً منها إلى ما وراء الحدود ولا اقتحاماً للحرب الباردة
واشتباكاً مع الدول الكبرى ، وإنما هو جزء من رسالة الأمة العربية
تؤديه قيادتها الوطنية الواعية على أكمل وجه هو ادعى إلى الفسخ
والاعتزاز .

وكفاح القيادة العربية متمثلة في جمال عبد الناصر ضد عملاء
الاستعمار في الشرق العربي ، وضد المنحرفين عن روح القومية العربية
من الداعين إلى التجزئة أو التبعية أو الانعزال . هذا الكفاح أيضاً
واجب من واجبات القيادة الوطنية العربية يؤديه جمال عبد الناصر دائماً
بغير كلل ، وقد كان هذا الكفاح سبباً في تساقط عملاء الاستعمار واحداً
بعد واحد في البلدان العربية ، وما زال هذا الكفاح قادراً على اعطاء عملاء
الاستعمار الدروس التي هم في حاجة إليها .



تخصية
البلاد
وميثاق
الشعب

الميثاق

ان شخصية البطل الذي لا يتكرر في تاريخ الامة ، الا مرة في كل بضع مئات من السنين ، هي الشخصية التي انفق المنصفون جميعا ممن كتبوا عن الرئيس عبد الناصر خارج بلادنا على أنها الشخصية الخاصة به .

ومن هنا كانت بطولة عبد الناصر هي بطولة القائد الرائد التي حولت مجرى التاريخ ، وكتبت صفحات جديدة في التاريخ ، وأعطت كفاح الشعب مفهوما شعبيا صحيحا لأول مرة في تاريخ كفاح شعبنا ضد الاستعمار والاقطاع والآفات السيسيسية والاجتماعية الكثيرة التي نخرت في حياتنا أمدا طويلا .

وشخصية البطل هي التي صنعت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ثم صنعت من هذه الثورة حادثا تاريخيا هائلا تخطت آثاره حدود وطنه الى المنطقة الكبرى التي تحيط بهذا الوطن .

وفي خلال عشر سنوات من الكفاح الرائع المتواصل ، قادت شخصية البطل هذه الثورة من نصر الى نصر ، بدأت بتصفية الاحتلال للاقتصادى المتمثل في الاحتكارات الاستعمارية التي كانت شركة قناة السويس على رأسها ، ثم جاء دور البناء الاجتماعى ، بناء الاشتراكية . وفي خلال هذه المعارك كلها كانت شخصية البطل جمال عبد الناصر تقف وسط ظلمات المعركة وبرقها ورعدها ، كمنار هاد يبعث أضواءه في كل الاتجاهات ، وترنو اليه جميع الابصار لتستمد منه الأمل والشجاعة فهتدى الى الطريق الصحيح .

ان شخصية عبد الناصر هي شخصية بطل الاستقلال ، ولكن عبد الناصر ليس مجرد بطل للاستقلال ، لان دوره لم يننه عقب حصول بلاده على الاستقلال ، ولم يكن ممكنا لدوره أن ينتهى عندئذ، لانه كان أيضا بطل تحرر اقتصادى .

وعندما تم التحرر الاقتصادى لبلادنا واختفت الاحتكارات الاجنبية التي كانت تربض فوق أرضنا ، أخذت شخصية الزعيم الرائد على عاتقها قيادة الثورة الاجتماعية . وهى أصعب مراحل الثورة الكبرى التي بدأت منذ عشر سنوات .

ان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية لم تكن مجرد قوانين صدرت ليقوم الجهاز الادارى بتنفيذها ، بل كانت في الحقيقة صيحة الثورة الاجتماعية ، حيث انطلقت صيحة الثورة الاولى في فجر ٢٣ يوليو منذ عشر سنوات .

وبانطلاق صيحة الاشتراكية في بلادنا ، أصبح النضال الشعبى العربى يدور على ثلاثة محاور ضخمة : الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة .

ان تجربة الوحدة بين مصر وسورية أثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان النضال الشعبى العربى الذى يستهدف الوحدة كهدف أصيلى ، لا يمكن ان يبلغ الهدف المنشود بالنضال حول محور « الوحدة » فقط ، وبدون « الحرية » لا يمكن الوصول الى الوحدة ، وبدون « الاشتراكية » لا يمكن الوصول الى الحرية !

وهكذا يبدأ طريقنا نحو الوحدة بالحرية والاشتراكية ، ولا يوجد طريق آخر يؤدى الى الوحدة العربية .

ومن النضال فى سبيل الاشتراكية ، انبثق مشروع الميثاق الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر لممثلى الشعب ، فى المؤتمر الوطنى الكبير .

لقد أثبت النضال فى سبيل الاشتراكية ضرورة معرفة اعدائها من اصدقائها .

وأثبت هذا النضال ان اعداء الاشتراكية من الرجعيين والاحتكاريين وعلاء الأستعمار لا يمكن ان يهادنوها ، ولهذا يجب الا يهادنهم الاشتراكيون ، ان الهدنة مع الرجعية ، فتح لابواب الحصون المنيعه فى وجهها ، وفتح ابواب الحصون ، كثيرا ما يعنى تسليم ما فى داخل الحصون .

ولكن الكفاح الاشتراكي بقيادة جمال عبد الناصر لا يخطر بباله ان يسلم مفاتيح حصونه للرجعية . انه بالعكس من ذلك يزيد حصونه مناعة ، ويجمع صفوفه صفا الى صف ، ويرتق الخرواق التى أصابت جدران الحصون خلال المعارك الطويلة .

وبدلا من أن تقف الثورة أو تتقهقر ، فانها تتقدم وتندف بأعدادها بعيدا ، وبدلا من أن تتراجع عن الزحف الاشتراكي ، فانها تندفع كل يوم فى هذا الزحف ، ويشند اندفاعها الثورى حماسة وقوة .

وفى كل خطوة من خطوات المارك التى لا تنتهى ، تجد الثورة رائدها الذى التقت به دائما ، وستظل تلتقى به على مدى الايام .

وفى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان موعد التفجير الثورى ، واستطاع الشعب المصرى كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى ميثاق العمل الوطنى « أن يعيد اكتشاف نفسه ، وأن يفتح بصره على امكانيات

هائلة كامنة فيه ، ان هذه الامكانيات الهائلة حققت تجربة جديدة في تاريخ الثورات .

والمؤكد أن الشعب المصرى قد أعاد اكتشاف نفسه فعلا في ٢٣ يوليو منذ عشر سنوات ، ولكنه اكتشف في الوقت نفسه قائد كفاحه ورائده الشعبى الذى كان النضال يفتقر اليه لكي يصل الى النجاح ، بعد التعثر الطويل وراء قيادات لم تكن في مستوى مواقف النضال .

وقد سار الشعب المصرى باطمئنان تام مع رائده الذى التقى به في فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعلى هدى عشر سنوات خاض الشعب مع رائده ثورته الشاملة التى بدأت بالقضاء على الاستعمار واستمرت في طريقها للقضاء على كل قيد ترسفت فيه أيدي الجماهير العاملة . ولم تكن شخصية الرائد التى قادت جماهير شعبنا ، قوة خفية من قوى ما وراء الطبيعة ، ولا كانت تفرض على الجماهير نوعا من تقديس الفرد والانصياع لمشيئته بدون وعى .

ان شخصية عبد الناصر شخصية شعبية صهيمية ، نابعة من قلب الشعب نفسه ، ويلهج فيها البطولة الفلاحون والعمال والناس العاديون الذين يعملون في شجاعة وصمت وتفان واصرار على بلوغ اهدافهم تبنى التضحيات .

وان شخصية الرائد الذى قاد شعبنا من قلب شعبنا ، وليس لها من هدف الا الهدف الذى تتجه اليه أنظار شعبنا ، فان هذه الشخصية ظلت طوال السنين ملتصقة بشعبنا تسمع نبض قلبه ، وتطالع أفكاره وتعبّر عن ارادته أدق تعبير ، وترفع أهدافه كشعارات للنضال .

وهكذا أصبح جمال عبد الناصر ، بشخصيته الفذة هذه ، ممثلا حقيقيا لشخصية الشعب المصرى ، ولم يعد ممكنا وضع خط دقيق بين شخصية القائد وشخصية الشعب ، لان القائد والشعب كتلة واحدة من الإرادة والعزم والاصرار .

وفى فجر ٢٣ يوليو ، عندما اكتشف الشعب شخصية القائد ، لم يكن القائد يمسك بيديه كتابا يحوى نظرية متكاملة عن الثورة والمجتمع ومع ذلك سار الشعب وراء القائد بلا تردد ، كيف حدث ذلك ؟

ان القائد نفسه يفسر هذه الظاهرة النادرة في تاريخ الثورات فيقول في ميثاق العمل الوطنى : « ان قوة الإرادة الثورية لدى الشعب المصرى تظهر في أبعادها الحقيقية الهائلة اذا ما ذكرنا أن هذا الشعب المثل بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشكلات المعركة ، كذلك فان هذا الزحف الثورى بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى » .

وكما حمل الشعب الاعجاب الشديد لقائده ، فان القائد نفسه كان دائما يحمل الاعجاب الشديد للشعب الذى يقوده .

ويعترف قائد الشعب فى تواضع بأن « الشعب المعلم » هو الذى

استطاع تطوير مبادئ الثورة الستة المشهورة وجعل منها نظرية سياسية متكاملة .

ولماذا فعل الشعب ذلك ؟

لانه أدرك للوهلة الاولى أن الثورة هي ثورته ، ومبادئها الستة هي مصابيح الطريق التي وضعتها قيادة الثورة وهي تخطو أولى خطواتها ، ولأن قائد الثورة هو رائد الشعب ، هو ابن الشعب .

ولم يكن ممكنا أن يشترك الشعب في تطوير المبادئ الستة لو لم تكن الثورة ثورة شعبية حقا . ولو لم يكن قائدها هو رائد الشعب حقا ،

ان الثورات تفرض آراءها على المجموع بالنار والحديد والدم ، ولكن الثورة التي قادها رائد شعبنا ، لم تكن ثورة نار وحديد بل كانت ثورة بيضاء تكره الدماء وان كانت لا تضمن بدمائها لحماية أهدافها من أعدائها والمتربصين بها .

ويصف الرئيس جمال عبد الناصر الطريقة التي استطاع بها الشعب تطوير المبادئ الستة ، فيقول في الميثاق : « ان هذا الشعب المعلم راح أولا يطور المبادئ الستة ويحركها بالتجربة والممارسة وبالتفاعل الحي مع التاريخ القومي ، تأثرا به وتأثرا فيه ، نحو برنامج تفصيلي يفتح طريق الثورة الى أهدافها الافتتاحية ، ثم ان هذا الشعب المعلم راح ثانيا يلفتن طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى ويربطها دائما بهذه الآمال ، ويوسع دائرتها بأن يمنحها مع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة في صنع مستقبله » .

وهكذا التقت ارادة الشعب الثورية مع ارادة رائده العظيم الذي انبثق من صميم صفوفه ، ولم تمد هناك قوة في العالم تستطيع أن تحفر هوة بين الرائد والشعب العظيم الذي أنجب الرائد العظيم .

وكان التقاء الارادتين العظيمتين في عمل واحد ، كافيا لان يغير وجه الوطن كله .

ولقد بدأ وجه الوطن يتغير بالفعل ، ان ملامح مصر تتغير باستمرار وبدلا من تجاعيد أربعة آلاف سنة فوق وجهها العريق ، تظهر الآن نضارة الشباب ، وتتلأأ دماء الصحة والعافية .

ولم يكن بد بعد أن شملت التغيرات كل شيء في حياة شعبنا ، وخاض تجارب « كبرى » خلال السنوات العشر الثورية من أن يقف وقفة عند المعجزات الهائلة التي فرغ منها ، والمعجزات الهائلة التي يتأهب للعمل فيها والفراغ منها خلال سباق عنيد مع الزمن ، وفي ظل المبادئ الاشتراكية العربية التي انطلقت في وطننا مع قوانين يوليو الاشتراكية .

وقد أتاح المؤتمر الوطني للقوى الشعبية وقفة تاريخية لشعبنا أطل منها على أعماله الكبيرة خلال السنوات العشر التي سار فيها مع جمال عبد الناصر ، وخلال السنين القادمة المديدة من قيادته الظاهرة . ان الميثاق بأبوابه العشرة يتضمن الخطوط العريضة للطريق

الثورى الذى يسير فيه شعبنا العربى الى الحرية والاشتراكية والوحدة الكبرى بين أجزاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج .

ويتضمن الميثاق كذلك الخطوط العامة للتحالف بين القوى الشعبية العاملة ، من العمال والفلاحين والوطنيين من الفئات الاخرى من أجل إقامة الاشتراكية العربية وحمايتها من التسلسل الرجعى المخرب .

وهذه الخطوط كلها ليست حواجز جامدة لا يمكن تخطيطها ، انها خطوط عريضة وعميقة حقا ، ولكنها ليست اغلالا فى الارجل تمنعها من السير الحر طبقا للظروف التى يخلقها العمل نفسه .

وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك فى الميثاق الوطنى بقوله يصف ارادة الشعب بأنها « ارادة تغيير ثورى ، ترفض أى قيد أو حد الا حقوق الجماهير ومطالبها » .

ومعنى هذا ان الميثاق الوطنى سيكون دليلا هاديا فى بناء أجهزتنا التى ستجعل من الاشتراكية حقيقة باذخة فى بلادنا .

وفى الميثاق يرسم الفكر الاشتراكى العربى الحر ، المقترح على حد تعبير الميثاق لكل التجارب الانسانية .

والميثاق فى جوهره ، اعلان لثورة عربية متجددة ، خلاقة لا تخمد ، ثورة للحرية والاشتراكية والوحدة .

ويفرض عليها طريقها الطويل أن تكون ثورة دائمة ، أو متجددة على الأقل ، لان الثورة هى « الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها الأمة العربية أن تخلص نفسها من الاغلال التى كبلتها ومن الرواسب التى أثقلت كاهلها » .

وثورتنا تدرك جيدا أن أسلوب المصالحة مع الاستعمار لم يعد هو طريق الحرية بدليل انتصارنا فى حرب مسلحة ضد الاستعمار العالمى سنة ١٩٥٦ .

ومن ناحية اخرى تدرك ثورتنا أن بناءها الاشتراكى كما جاء فى الميثاق « لم يعد حتما عليه أن يلتزم التزاما حرفيا قوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر » .

وهكذا يرسم الميثاق الذى أعلنه عبد الناصر خطين لنضال الثورة المصرية العربية :

– فى النضال من أجل التحرر لا مصالحة مع الاستعمار وعملائه الرجعيين .

– فى النضال من أجل الاشتراكية : لا التزام بمناهج أجنبية للعمل الاشتراكى ، مع مراعاة ما أشار اليه الميثاق من الفكر المفتوح لكل التجارب الانسانية .

أما الخط الثالث لنضال الثورة العربية ، وهو « الوحدة » فان الميثاق يقول عنه : « والامر كذلك فى تجربة الوحدة ، فان النماذج السابقة لها فى القرن التاسع عشر ، وأبرزها تجربة الوحدة الألمانية

وتجربة الوحدة الإيطالية ، لم تعد تقبل التكرار . وان اشتراط الدعوة السلمية واشتراط الاجماع الشعبى ليسا مجرد تمسك بأسلوب مثالى فى العمل الوطنى ، وانما هما فوق ذلك ، ومعه ضرورة لازمة لحفظا على الوحدة الوطنية للشعوب العربية » .

وهكذا يرسم الميثاق للوحدة العربية بين الشعوب العربية طريقها العربى الذى لا يقلد الطرق التى سارت فيها شعوب أخرى من قبل ، فكانت طرقا مصبوغة بدماء القتلى وجثثهم ، وعلى جوانبها دارت معارك اشتركت فيها الجيوش لتفرض الوحدة فرضا .

ان طريق الدماء ليس طريقنا الى الوحدة ، هكذا يؤكد الميثاق

على أن الميثاق الذى قدمه البطل عبد الناصر للشعب العربى استطاع أن يتضمن الى جانب كل ذلك أشياء جديدة كثيرة تعتبر ثقافة جديدة لعهد جديد .

ولعله لا بد من وقفة نلقى الاضواء على ذلك الميثاق الذى قدمه عبد الناصر للشعب العربى .

فالثقافة الجديدة التى قدمها الميثاق هى أبرز نقاطه ، بل هى المحور الرئيسى الذى ستدور حوله حياتنا ، أى حياة الشعب خلال سننى الكفاح القادمة .

فالثقافة انعكاس للاوضاع الطبيعية ، ولقد ظلت ثقافتنا خلال عشرات السنين الماضية انعكاسا لوجود الاستعمار فى بلادنا وانعكاسا لسيطرة الاستعمار والاقطاع .

لقد ظل الشعب المصرى يكافح سنين طويلة فى سبيل اقامة مجتمع جديد ، ولكن الاستعمار والاقطاع كانا يضربان بعنف كل محاولة تهدف الى بث الثقافة التى تؤدى الى هذا التغيير والتحول .

واقام الاستعمار والاقطاع حولنا سسورا ضخما ليحجب عنسنا ثقافات العالم حتى نظل عميانا عن التطور الذى يهز العالم ، ثم فرض علينا ثقافته ، فظلت انجماهير الفقيرة جاهلة متأخرة عن التطور الذى يهز العالم ، كما ظلت فئات المثقفين محصورة بين سطور الكمات التى تدعهم حكم الاستعمار والاقطاع .

واليوم بعد ان تخلصنا من الاستعمار والاقطاع فى مصر وتغير الوجه الاقتصادى ، كما تغير البناء الاجتماعى ، كان لا بد أن تكون لنا ثقافة جديدة تعبر عن هذه الاوضاع الجديدة ، وجاء الميثاق انعكاسا للنظام السياسى وانعكاسا للاوضاع الاقتصادية الجديدة التى حدثت خلال السنوات العشر الماضية ، والتى اتوجت بصدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، ثم مهد الميثاق فى الوقت نفسه لخلق ثقافة جديدة تتلاءم مع اوضاعنا الجديدة ، وعندما تستكمل هذه الثقافة مقوماتها ، سنجدها من ثم تؤثر فى اوضاعنا .

لقد كشف الميثاق لنا لأول مرة عن معانى الصراع الطبقي ، كما فسر لنا تاريخنا على أساس علمى ، وتحدث عن حتمية الحل الاشتراكى ،

ثم مشكلات السلام والحياد الإيجابي ، ثم ربط الميثاق بين هذا كله وبين تطور الشعب .

ولهذا فالميثاق فتح جديد لثقافة جديدة ، تقوم مقام الثقافة الاستعمارية الاقطاعية التي انهارت بانهيار النظام الذي كان سائدا قبل يوليو ٥٢ .

وهذا ما يوضح لنا ما قصدته الرئيس في قوله عن أزمة المثقفين التي أتت كثيرا من قبل : انها أزمة طبقية وليست أزمة ثقافة .

وليس معنى ذلك أن هذه الثقافة منعزلة عن التراث الانساني الضخم بل هي امتداد وتطوير له ، ولكنها تنبذ كل المعاني التي حاولت العناصر الرجعية أن تلتصقها بالانسان لتعوق تطوره عن تحقيق أمانه .

فما الفلسفة ؟

ليست الفلسفة كما حاولت الثقافة الرجعية أن توهمنا ، هي المناقشات التي لأجدوى لها أو لامعنى لها ، ولكن الفلسفة أسط من هذا ، انها نظرة الإنسان الى الحياة ، هذه النظرة التي تمتد الى تصرفات الإنسان نحو نفسه ثم نحو أسرته وأخيرا نحو المجتمع الذي يعيش فيه .

ولقد أغرقنا الرجعية والاستعمار في فلسفات مثالية لا تربطنا بالواقع الذي نعيشه ، واستطاعت أن توهمنا بأن الواقع لا يمكن تغييره . وبثت فينا روح التواكل والاستسلام للأقدار و . . . وعاشت الرجعية لتلتهم هي نفسها الواقع وتتخم بما تنتجه الارض وما يبذله العامل .

وأرادت لنا أن نعيش على أوهام «كسب ورقة اليانصيب» أو أحلام الشراء المفاجيء .

وعندما أوشكت هذه الفلسفة أن تنهار ، حاول الاستعمار من جديد أن يعرقنا في نوع جديد من الفلسفة الوجودية . . . لكى تؤدي بنا الى أخط أنواع الانحلال وبذلك تضعف فينا روح المقاومة وعزيمة الكفاح .

وجاء الميثاق ، لم يأخذ عبد الناصر فيه بالفلسفة المثالية بل حطها ، كما لم يأخذ بالمادية الجدلية كلها ، بل أخذ منها بعض أوجهها كما أضاف اليها بعض القيم الانسانية من الفلسفة المثالية ، وهكذا جاء الميثاق بفلسفة مستمدة من الحياة ، فلسفة تضع التجربة في المقام الاول ، وبذلك رسم الميثاق طريقا لتغيير حياتنا دون أن يتجاهل واقعنا ، كما انه يعمل على تغيير الواقع دون أن يتجاهل حياتنا .

هذه هي الفلسفة الجديدة التي يقدمها الميثاق لتحل محل فلسفة التواكل أو الانحلال ، أو الاستسلام أمام الواقع .

انها فلسفة تدفعنا الى العمل في اطار حياتنا الجديدة . وتحدد نظرتنا الى الحياة حتى نستطيع أن نغير الواقع المرير الى حياة أفضل .

لقد أكد الرائد العربي ارادة الانسان ، وقدرته على تغيير حياته .

لقد كنا نسمع من يعول ونحن نتحدث عن الفلاح « ان الفلاح راض بحياته، ان « الفلاح طول عمره كده » واذا تناولنا العامل بالحديث قيل « والله دافيس، نابة » واذا تحدثنا عن الفوارق بين الطبقات أسرعوا قائلين « انتم عازين تغيروا المكتوب أهو كل واحد وحظه » .

وجاء الميثاق ليشرح كل هذا وليضع ارادة الانسان في مكانها اللائق وليؤكد قدرة الفرد وليعيد للانسان ثقته في نفسه وفي المستقبل .

وكان الشكل السياسى والاقتصادى للدولة قبل ثورة ١٩٥٢ نظاما اقطاعيا واستعماريا في المقام الاول ، وكانت القوى المسيطرة هي القوى الاقطاعية الممثلة في النظام الملكى وكبار ملاك الاراضى الزراعية ووراءهم جيوش الاستعمار تحميهم وتسد أزرهم .

وجاء عهد الناصر ليغير هذا كله ، وبمعنى أدق جاء الميثاق بنظرة سياسية جديدة لبناء أساس سياسى جديد يحل محل النظام السياسى القديم الذى انهار .

ولقد كانت الدولة فيما مضى تعتمد على الاستعمار فى حماية نفسها من أى عدوان خارجى أو أية ثورة داخلية ، وكان العدو الخارجى للاستعمار هو نفسه العدو الخارجى للاقطاع ، وكان ذلك يحدث بالتبعية ، ولهذا كان وجود جنود الاحتلال ثم المعاهدات نتيجة طبيعية لسيطرة الطبقات الرجعية .

وبعد انهيار هذا النظام الاستعماري الاقطاعى ، كان لابد للدولة من نظام سياسى يحميها ضد الاعداء ، وجاء الميثاق ليحدد النظام السياسى الجديد ، وهو نظام يقوم على أساس تكتل كل قوى الشعب ضد العدو المشترك .

ان النظام السياسى الجديد الذى يقوم على تجميع كل فئات الشعب فى الاتحاد الاشتراكى والذى نص على وجوب تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ فى المجلس النيابى القادم انما عمل على تكتل كل القوى المعادية للاستعمار فى جبهة واحدة لمقاومة العدو المشترك . وكما نظر الميثاق الى الواقع السياسى الداخلى الذى نعيش فيه وعمل على وضع أساس جديد يخلف النظم البالية كذلك وضع الميثاق أساسا جديدا لسياستنا الخارجية فجاءت تعبيرا صادقا ومعبرا عن الواقع ، سواء كان ذلك بتحررنا من التبعية للاستعمار ، أو تقديره الواقعى للقوى التى تلعب دورها فى المجال العالمى ومدى تحركها معنا ، فوضع الميثاق لأول مرة فى حياتنا تقديرا حقيقيا لمدى تفوق المعسكر الشيوعى وأثر ذلك فى تطورنا .

وثمة ثقافات أخرى كثيرة عرضها الرائد العربى فى الميثاق .

ولعل أبرز ما فى الميثاق ، انه وضع الاساس النظرى لقوانين يوليو ٦١ ففى ذلك على المفهوم التقليدى للاقتصاد ، كما قضى على تبعيتنا لمدارس الاقتصاد الغربى ، فكشف الميثاق عن عيوب وأخطار وأخطاء النظريات التى تنادى بالحرية الاقتصادية ، وأوضح أن هذه الحرية معناها.

تبعية الشعوب المنحررة حديثا لنظام الاستغلال الغربى ، كما قضى الميثاق على حرية استغلال الفرد داخل وطنه .

لقد نامت الرأسمالية على انفاض الاقطاع ، واستطاعت فى لحظات، سموها أن تعمل على نمو الانتاج ، ولكن هذا النظام تحول الى عملية سرقة ونهب للشعوب عن طريق الاستعمار ، كما فرق بين أبناء الوطن الواحد بأن جعل بينهم سادة يملكون المال وعبيدا يعملون تحت وطأة الحاجة .

وجاء الميثاق ليمزق فئاع هذه النظم الاقتصادية وليكشف عن حقيقتها وليقضى على نظريات الاستغلال .

لقد كان النظام الاقتصادى التقليدى يفرض على مصر أن تكون مزرعة قطن « للكتشير » ، واستطاعت أسس هذه النظريات أن تقنعنا بأننا بلد زراعى وان امكانيات التصنيع فى بلادنا غير متوافرة ، وقضى الميثاق على هذه الخرافات ورسم الطريق لاساس اقتصادى جديد .

وكان الاقتصاد التقليدى الذى يدرس فى معاهدنا وجامعاتنا ينظر الى جهد الانسان وعمله على أنه سلعة ، وبذلك جعل العامل جزءا من الآلة وليس طاقة بشرية ، فنص الميثاق على أن العامل هو سيد الآلة .

لقد أوضح عبد الناصر بما لا يدع مجالا للشك أن الطريق القديم للذهو الاقتصادى القائم على نظريات الاقتصاد الرأسمالى طريق مقفل وان نهاية هذا النظام قد افتربت ، ولم تمض الا أيام حتى شاهدنا الازمة انطاحنة التى تجتاح الاقتصاد العربى والانهبان الذى أصاب الشركات والاسهم .

لقد كشف الميثاق الفئاع عن نظريات الاستغلال ، ووضع مكانها أسسا جديدة لتطبيق الاقتصاد الاشتراكى الذى يخدم الفرد ويعمل على التنمية دون استغلال ، وبمضى فى دورته دون أزمات دورية أو مفاجئة .
ولهذا أعلن الميثاق أن الاشتراكية التى نتمتعها اشتراكية علمية .

ثم كان القانون فى الميثاق ، وقد تعلمنا من قبيل أنه اذا سرق الجائع رغيفا أدانه القانون ووضع فى السجن . أما اذا حول الملك أموال الاوقاف الحيرية الى أمواله الخاصة فالقانون يحميه . والعامل أو الفقير الذى يسرق لشراء دواء لابنه ينبذه المجتمع باسم القسانون أما صاحب رأس المال الذى يسرق جهد العمال ليبنى ملايين الجنيهات فالقانون يحميه والمجتمع يبجله .

هذا القانون الذى وضعته الطبقات الرأسمالية فى أثناء تطور نمو الرأسمالية فى أوروبا لحماية جشعها ، والذى نقلناه الى محاكمنا يجب أن يتغير ، وهذا ما نص عليه الميثاق .

ان القانون يجب أن يكون فى خدمة الناس جميعا ، لا أن يكون أداة فى يد طبقة لاستعباد واستغلال طبقة أخرى ، ولهذا كان لا بد من تغيير القوانين حتى نيسط للفقير حقه فى الحياة ، فاذا أخطأ بعد ذلك

وجبت محاكمته • اما أن نسلبه لقمة العيش ونحاكمه على سرقتها ، فهذا يناقئ مع أبسط المعاني الانسانية ، وأما أن نحرمه العلاج والدواء ونحاكمه اذا أراد أن ينتزع حفه في الحياة ، فهذا ظلم اجتماعي لا يمكن أى قانون عادل أن يأخذ به •

ان القانون المدنى والقانون الجنائى والاجراءات التى تتخذ فى المحاكم لتعفيد الامور أمام الفففر لاسترداد حقوقه ، هذه القوانين التى أخذناها عن الدول الرأسمالية والتى كانت تهدف الى حماية فئة الرأسمالية وهى نزع حقوق الجماهير فى الحياة ، هذه القوانين أصبحت من الـيوم موضع نظر ، فهى لا يمكن أن نتلاءم مع أوضاعنا الجديدة ، وتطورنا نحو المستقبل •

فحماية القانون يجب أن تكون لملايين الناس • لا أن يكون القانون أداة استغلال وبطش فى يد قلة من الاستغلاليين •

ودرس آخر جديد يقول :

« العامل سيد الآلة »

وهذه الكلمة البسيطة تحمل فى طياتها الكثير من التغيرات التى حدثت وتحدث فى مجتمعنا منذ ثورة يوليو ٥٢ •

لقد كان العامل فى الماضى عبدا للآلة ، فاذا توقفت الآلة توقف عمله وانقطع أجره • واذا زادت الآلة من إنتاجها زاد أجره ، واذا حدثت أزمة وأرغمت الآلة على الصمت توقفت حياة العامل •

كل هذا كان يحدث نتيجة لنظام الاستغلال القائم على تقديس رأس المال وامتيازات أصحاب رؤوس الاموال •

وجاء الميثاق ليضع الأسس النظرية للتغييرات الاجتماعية التى حدثت خلال السنوات العشر الماضية •

ملايين الفلاحين أصبحوا يملكون الارض • وآلاف العمال ينتظمون داخل المصانع ، وهكذا دخل الملايين الى المجتمع أسيادا وليسوا عبيدا •

لم يعد المجتمع هو جماعة الاترياء وأصحاب القصور ، بل تغير وجه المجتمع واحتل العمال والفلاحون المكان اللائق بهم ، وليس معنى ذلك أن العمال والفلاحين أصبحوا فى مكان الاقطاعيين والرأسماليين ، ولكن النظرة الجديدة للمجتمع هى المساواة بين الناس جميعا •

وهكذا وضع عبد الناصر الاسس ليقرر المساواة ، فالانسان الذى يولد فى الحياة متساويا فى كل شئ ثم تجعل الثروات من البعض عبيدا للبعض الآخر ، هذه النظرة تتحطم لتحل مكانها أسس جديدة للمجتمع أسس تحترم الانسان وتسوى بين البشر ، ولن يكون هناك فضل لانسان على أخيه الانسان الا بعمله •

فالميثاق يضع أسس العلاقات الجديدة ، فالاحترام لن يكون لصاحب

العربة الفخمة أو القصور الكبيرة ، ولكن احترام الناس بعضهم لبعض سيتوقف على مقدار عملهم وجهدهم في سبيل خدمة المجموع .

ويقضى الميثاق على الامتيازات الطبيعية ، كما يقضى أيضا على التفرقة بين العمل اليدوى والعمل الفكرى ، وبذلك يرفع العمل اليدوى الى مستواه اللائق به .

كما يقضى الميثاق على العناصر الطفيلية التى تعيش على جهد الآخرين دون أى جهد او عمل . ان الميثاق يفتح الطريق امام أسس جديدة للعلاقات ويضع الخطوط الاولى لقيم أخلاقية جديدة .

والميثاق يؤكد الثقة بالشعب ، وليس لنا أن نخاف رواسب الماضى لنعتقد أن الشعب لم يصل بعد الى المستوى الذى يجعله ذا كفاية لحمل المسؤولية .

وليس هذا الشك أو الخوف مقصورا على ثورتنا ، ففي كل النورات التى حدثت عبر التاريخ نجد قادة فكريين وسياسيين يقفون مترددين فى ذعر وخوف مشفقين من قدرة الشعب على تحمل المسؤولية .

ولكن الذى كان يحدث ، ان الشعب كان يحمل المسؤولية كاملة على حين ينتكص الذين كانوا يشفقون عليه تماما كما أن وقوف الشعب بعيدا عن العمل السياسى والفكرى لم يكن نتيجة قصور بل كان هذا يحدث تحت تهديد السلاح وبطش الطغاة .

والسياسة ليست الا العمل فى سبيل الجماهير ، والجماهير التى تعرف حقها كاملا والتى خاضت معارك عنيفة عبر التاريخ ضد الاقطاع والاحتكار كفيلة بأن تتقدم لتحمل المسؤولية .

ان الايمان بالشعب ليس مشكلة الشعب ، ولكنه مشكلة أصحاب النظريات . ولقد حسم الميثاق المشكلة بأن أزاح من أمام الجماهير العوائق التى كانت تسد الطريق أمامهم .

ولم تكن هذه هى وحدها كل الدروس الثقافية الجديدة التى قدمها رائد الفكر العربى فى الميثاق ، فثمة أشياء أخرى كثيرة .

يقول عبد الناصر فى الميثاق :

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة ليجاد المنهج الصحيح للتقدم ، ان أى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود »

بهذه الكلمات الحاسمة ، حدد الرئيس طريقنا الى الاشتراكية فلم يعد هناك مجال للاستفسار أو السؤال .

فالاشتراكية التى نتجه إليها لا تقوم على النيات الحسنة أو الهبات ولكنها تقوم على أساس علمى له شكله السياسى وتخطيطه الاقتصادى .

فكما يقول الميثاق .

« ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا في ظل القيم الانسانية الجديدة » .

ولذلك

« ان التخطيط الاشتراكي «الكفاء» هو الطريقة الوحيدة التي تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية ، المادية والطبيعية والبشرية بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكي تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية » .

فالفكر العربي الآن مسئول عن دراسة وفهم الاشتراكية العلمية.

وكما ينص الميثاق :

« ان التجارب الاجتماعية لا تعيش في عزلة بعضها عن بعض ، وانما التجارب الاجتماعية ، كجزء من الحضارة الانسانية ، تعيش بالانتقال الحسب وبالتفاعل الحلاق » .

« انها قابلة للانتقال لكنها ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراسة المفيدة ، لكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار » .

بهذا التوضيح يتبين موقفنا من الاشتراكية العلمية ، فمهمة الفكر العربي اليوم هي العودة الى التراث الاشتراكي لتبين من خلاله طريقنا بالدراسة والشرح .

وننتقل من الاشتراكية العلمية الى الصراع الطبقي . فالاشتراكية العلمية هي التي تفسر لنا معنى التطور التاريخي خلال الصراع الطبقي .

ولقد ظلت كلمة الصراع الطبقي محظورة من القماموس السياسي ممنوعة من التداول ، محرمة في المناقشات ، ولم تبدأ في احتلال مكانها الا منذ سنوات الثورة ، ثم جاء الميثاق ليؤكد وجودها .

ولعل الاشاعات والاكاذيب والتفسيرات المضللة الخادعة هي التي جعلت كلمة الصراع الطبقي من المحظورات .

فكلمة الصراع الطبقي ظلت مرتبطة بالصراع الدموي ، وكأنهما متلازمان . والحقيقة ان الصراع الطبقي ليس معناه اطلاقا الصراع الدموي ولكن الاستعمار شاء ان يربط بين المعنيين حتى يحجب منا الحقيقة .

وحقيقتة ان كلمة «الصراع الطبقي» تعطينا تفسيراً للتطور التاريخي: فلاحترار طبقة ، والاقطاع طبقة ، والرأسماليون طبقة ، والعمال طبقة، والفلاحون طبقة ، والصراع بين هذه الطبقات هو تطور التاريخ .

فكلمة الصراع الطبقي تكشف لنا عن حقيقة عداوة الاحتكار العالمي أو الاستعمار للطبقات الوطنية والشعبية الشريفة ، كما تكشف لنا أيضا عن سر ارتباط الاقطاع والنظم الملكية الرجعية بالطبقة الاحتكارية العالمية .

وهى في الوقت نفسه تكشف لنا عن ميزات ارتباط الطبقات
الوطنية والشعبية في صراعها ضد قوى الاستعمار والرجعية .

أما الصراع بين الطبقات الرأسمالية الوطنية والطبقات النحسية
فالتطبيق الاشتراكي يتيح الفرص لحل الصراع الطبقي سلميا بطريق
اذابة الغوارق بين الطبقات .

وعلى هذا الاساس يتبين لنا ان كلمة «الصراع» لاتعنى اطلاقا الصراع
الدموي ، فهناك صراع في الفكر ، وصراع في الرأي ، وهناك الصراع ضد
الامراض والصراع ضد الجهل .

ولكن الاستعمار والرجعية شاءا أن يجعللا من الصراع الطبقي
صراعا دمويا من أجل حجب الحقيقة عن الشعوب .

(فالميثاق) الذي تحدث عن الصراع الطبقي لعله سلميا، انما يفتح
الطريق أمامنا لمنهج جديد في البحث والدراسة واعادة كتابة تاريخنا ،
ومشكلاتنا الاقتصادية على هذا المنهج العلمي ، كما انه يفتح الطريق من
جديد لتفهم ثورتنا على حقيقتها ، حتى نستطيع أن نلبس مطالبها في هذه
المرحلة الهامة والحاسمة من تاريخنا .

ويجر الحديث عن الصراع الطبقي الى ما تناوله الميثاق عن المعسكر
الشيوعي .

فانجلترا تعترف بالصين وتبادل معها كل ما تريد سواء أكان
اقتصاديا ام ثقافيا .

وانجلترا اعترفت بالاتحاد السوفيتي بعد ثورة أكتوبر الشيوعية
بسنوات قليلة ..

والغرب كله يعترف بالمعسكر الشيوعي ويتعايش معه سياسيا
واقصاديا وثقافيا .

أما نحن فلم نعترف بالاتحاد السوفيتي الا عندما سمحت لنا
انجلترا بذلك خلال الحرب العالمية الثانية .

ولم نعترف بالصين الشعبية الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وكانت كلمة المعسكر الشيوعي ترعب الساسة ، وتخيف المفكرين
ونزهب أصحاب الأقلام ..

وخلال سنوات طويلة لم تكن تعرف أو نعلم عن المعسكر الشيوعي
الا الخرافات والاكاذيب التي يظلمها المعسكر الاستعماري أو اذنابه من
الرجعية ..

وعلى الرغم من العلاقات التي توطدت في السنوات الاخيرة بين
الجمهورية العربية والمعسكر الشيوعي سواء أكانت سياسية أم اقتصادية
أم علمية فان الاعتراف بهذا المعسكر كقوة لها مكانتها في العالم سواء
أكان عسكريا أم اقتصاديا كان يتردد في همس وخوف وكان الحقيقة
يجب أن تواد ..

ولقد كان من البديهي أن يعمل الاستعمار على عزلنا عن المعسكر الشيوعي لينفرد بنا ويتحكم فينا وسيطر علينا ، وبذلك نظل أسرى لعلاقاته الاقتصادية ، خاضعين لارهابه العسكري، مستسلمين لعدوانه . ولكن هل يمكن بعد تحررنا أن نظل في هذه الاوضاع الذليلة . لانتحرك ولا نعرف شيئاً عن المعسكر الشيوعي الا ما يمليه علينا الاستعمار بمفاهيمه المسمومة .

لقد نحررنا كثيرا ، وتحررنا من أوهام كثيرة ، ولكن آثار الماضي كانت ما زالت مسيطرة على كثير من القطاعات وجاء الميثاق ليعلن :
« ان أبرز التغيرات التي طرأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولا - تعاظم قوة الحركات الوطنية .

ثانيا - ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة .

ثالثا - التقدم العلمي الهائل .

وهكذا يعلن الميثاق أن ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادي والمعنوي يوما بعد يوم في مواجهة المعسكر الرأسمالي يعد من التغيرات الضخمة التي أتت معها بظروف جديدة تؤثر تأثيرا لاجدال فيه على العمل من أجل أهداف النضال الوطني لكل الامم ، بما في ذلك من أهداف الأمة العربية .

هذه الكلمات الصريحة الواضحة ، تفتح الطريق أمام الحقيقة المروية لتشق طريقها في مجالنا السياسي والثقافي والعلمي .

فالمعسكر الشيوعي الذي يتزايد انتاجه الاقتصادي في المجال العالمي والذي بلغ هذا التفوق العلمي الكبير ، لم يعد في الامكان انكاره والا عشنا في عزلة سخيفة .

والميثاق الذي تحدث بصراحة في هذا الموضوع ، انما يطالبنا ان نتابع التطورات التي تحدث في المعسكر الشيوعي كما عودنا ان نتابع تطورات المعسكر الغربي .

ولم يعد أمام أصحاب الفكر والقادة الشعبيين الا أن يتلفتوا الى هذه التطورات المادية والمعنوية لينقلوا آثارها الى جماهير الشعب .

ويتحدث عبد الناصر في الميثاق عن الاستعمار فيقول :

« ان الاستعمار الذي ما زال متمسكا بأهدافه ، غير أسلوبه » .

وهكذا يؤكد لنا أو يذكرنا بأن المعركة ضد الاستعمار لم تنته بعد، وأن التناقض الرئيسي ما زال متمسكا بأهدافه لن يلجأ الى العدوان المباشر كما فعل في حرب السويس ، ولكنه غير أسلوبه ، ولذلك فان اليقظة والحذر من أهم متطلبات المرحلة الحالية في كفاحنا من أجل تطور جياننا وبناء مستقبلنا .

وهذا التحديد من الرئيس فى الميثاق انما يرسم المنهج ويضع حدا للجدل الذى ثار منذ نهاية حرب السويس : هل انتهت المعركة ضد الاستعمار او مازالت قائمة ؟

وحسم الميثاق الجدل ؛ ولذلك يجب أن نضع فى مجالنا الفكرى والسياسى والعمل التخطيط اللازم لمواجهة مؤامرة الاستعمار وأعوان الاستعمار ، فان حماية البناء الاشتراكى تتطلب اليقظة ضد المؤامرات والعمل لكيلا تمتد النكسة التى حدثت فى أجزاء من العالم العربى .

ان الاستعمار لن ينتهى الا بالانهيار التام ، والذين ربطوا حياتهم بحياة الاستعمار لن ييئسوا فى استرداد ما فقدوه الا عندما يستسلم الاستعمار نهائيا ، ولن يستسلم الاستعمار الا عندما ينتهى بناؤه الاحتكارى على أشبع أنواع الاستغلال وغزو الاسواق .

فاذا كنا نؤمن :

« أن التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » .

يجب أن نذكر دائما أن هناك من لا يزال يؤمن بالتفرقة بين الناس ؛ وأن هناك نظما مازالت تعيش عن طريق النهب والسخرة . ويجب أن ننتبه دائما حتى لانقع بين أيدي الوحوش البشرية من مصاصي الدماء وأكلة لحوم البشر ، والذين يتلذذون بشرب عرق الآخريين ونهب قوتهم .

والحديث عن الاستعمار ، يجرنا الى تناول مشكلة الرجعية وهى التى لم يغفلها الرئيس فى الميثاق بل أعلنها صريحة :

« ان الرجعية مازالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ماقد يغيرها بالتصدى للتيار الثورى الجارف خصوصا فى اعتمادها على الفلول الرجعية فى العالم العربى ، المسنودة من جانب قوى الاستعمار .

ان اليقظة الثورية كفيلة - تحت كل الظروف - بسحق كل تسلل رجعى مهما كانت أساليبه ومهما كانت القوى المساعدة له .

فالرجعية مازالت موجودة ماديا وفكريا ، فهى الاخرى لم تستسلم وان كانت تقبع منكشمة تعمل فى الظلام وترقب الفرصة المناسبة لتمسرد اراضيها .

والرجعية فى عجزها لاتتوانى عن بث أفكارها المسمومة بالاشاعات والاكاذيب .

فالرجعية فكر تربى ونشأ وارتبط بالاستعمار والاستغلال ، وهى ذات قيم منحلة لاتتورع عن الانقضاض بأشبع الصور ، ولن تتوانى عن أن تضرب من الحلف لو أتاحت لها ثغرة تنفذ منها » .

ولهذا ، لم يغفل الميثاق التنبيه الى خطر وجود الرجعية ؛ حتى يمكن

أن ينسأ فكر جديد يجتنب جذور الفكر الرجعي ، وان نتنبه في العمل السياسي الى خطورة الرجعية .

عنه الحقائق التي عرضها الميثاق مع عتترات من المشكلات والمهام السياسية والاقتصادية والفكرية ، من المسئول عن تبنيها وحمل عبء القيام بها : .

لقد نص الميثاق :

« ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسي جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي العربي يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية الجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

فالجهاز السياسي الجديد لابد أن يكون واعيا للدور الذي يقسوم به فهو قدوة وليس قيادة فحسب ، فلن تكون مهمته المراقبة بل مهمته هي التوعية والتوجيه والمبادرة الى العمل .

وهذا الجهاز لن يستطيع القيام بمهامه الا اذا كان مسلحا فكريا وواعيا للمرحلة التي نمر بها ، مؤمنا بدوره ، واثقا من قدرات الشعب .

هذا الجهاز السياسي ضرورة للشعب حتى يجمع الجماهير نحو أهداف الثورة ويدفعها الى البناء بحماسة لبناء الغد ، وهو ضروري لبنى الوعي والفكر السياسي الذي يقود عمل الجماهير .

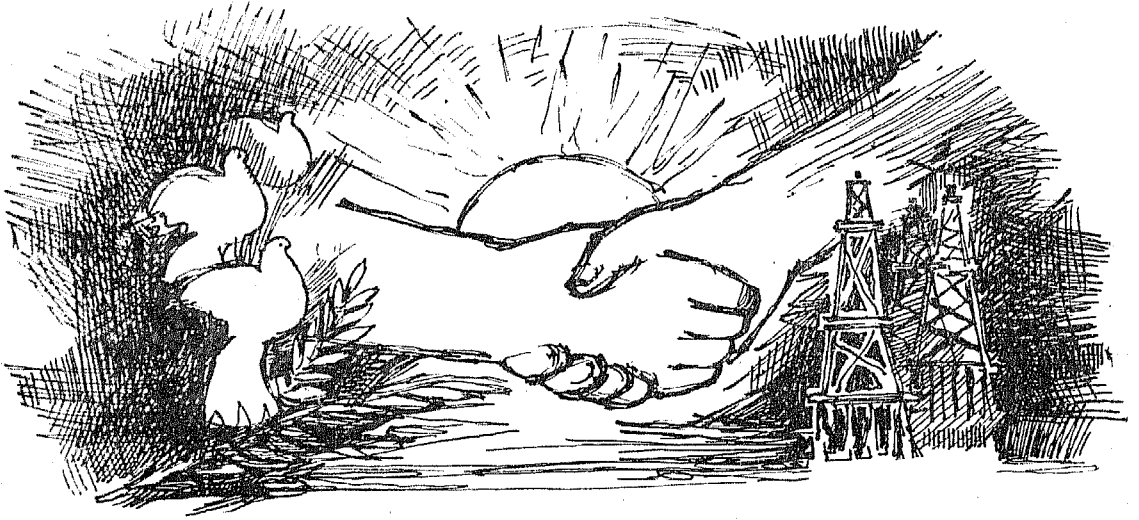
والثورة في سيرها في حاجة الى هذا الجهاز الذي يتلقى منها اشارات العمل ، ويتنقل بين الجماهير ليكون الصلة بين قيادة الثورة وجماهير الشعب .

ولن يكون هذا الجهاز أداة للرقابة ولكنه أداة للتوعية وبث الحماسة وتجنيد الملايين لبناء المستقبل الافضل .

وبعد ، فان الميثاق كما أعلنه عبد الناصر ، قد بلور كل تجارب شعبنا في السنوات العشر الماضية ، وفتح الطريق أمام تجاربه في السنين الطويلة القادمة التي سيخوضها شعبنا مسلحا بايمانه العميق ، وثوريته الاصيلية ، وقيادته المتمثلة في رائده العظيم .

ان الميثاق ، هو ميثاق للعمل ومرشد للكفاح ، ومن أجل ثلاثة أهداف «كبرى» يقودنا اليها جمال عبد الناصر : الحرية والاشتراكية والوحدة . وفي الميثاق ضمان لوضوح النظرية التي ترسم طريق العمل .

وفي القيادة المتمثلة في جمال عبد الناصر ضمان للسير في طريق العمل بلا تردد ، وهو طريق طويل ، طويل ، ولكن شعبنا أن يتحرف عنه قيد أنملة ! لأن (جمال عبد الناصر) هو رائد الطريق !



قصص الولاية

منذ أربعمئة عام فرقت بين الشمال والجنوب سنايك خيل الغزاة ،
العثمانيين ، وقسمتهما الى «ايالات» عثمانية يحكم تلامتها « باشا » يتلقى
الفرمان من استامبول ، ويرسل عرق الشعب وجوعه وحرمانه وشمائه الى
صاحب العرش وغلمانه وجواريه في استامبول على هيئة مجوهرات
وذهب وفضة وخيرات يسبح فيها صاحب العرش وغلمانه وجواريه .

ومضت أربعة قرون طوال ، امتصت فيها السلطنة العثمانية دماءنا
وفرقت بيننا وصنعت من البلد الواحد عدة بلدان .

ثم جاء الرجل الابيض ، جاء الاحتلال الأوروي ليرث الاحتلال
العثماني ، ويعزز أسباب التفرقة ويزيد عوامل الانفصال .

واقطع الاستعمار الأوروي فلسطين وأعطاها الصهيونية ، وفصل
بذلك أرض مصر عن أرض الشام ، وامتلا ثقة بعد ذلك بأنه لا لقاء الى
الأبد بين دمشق والقاهرة .

ولكن القاهرة ودمشق التقتا بالرغم من أربعمئة عام من الاحتلال
العثماني ، وبالرغم من قطع الطريق برا بين مصر والشام وتسليمه الى
عصابة مسلحة من الصهيونيين .

كيف حدثت هذه المعجزة ؟

ان السماء لاتمطر معجزات على الشعوب ، لان المعجزات دائمة من
صنع الشعوب . ولا يوجد شعب يستطيع أن يصنع المعجزة كما يصنعها
السحرة والحواة . فلا بد لكل معجزة يصنعها الشعب من ثمن كبير يؤديه
الشعب .

ولكن شعبنا كثيرا ما يبدل الاثمان الفسادة ليصنع معجزة الحرية
والاستقلال والوحدة . فلم يجد الى ذلك سبيلا ، ولم يخرج من معاركه
الطويلة خلال القرون الاربعة الماضية الا بالجراح الدامية والامل الخائب
والياس المرير .

ثم آن للمعجزة أن تتحقق .

واستجاب السماء دعاء الملايين من شعبنا في أجيالهم المتعاقبة عبر

القرن الرابع الهجرية . استجابات السماء لهم فوهبت لكفاحهم القسائد
الذي تحول المعركة على يديه الى انتصار ، وتحول الانتصار الى حرية ،
وتحول الحرية الى معجزة تحقق حلم شعبنا القديم . حلم الوحدة بين
الشمال والجنوب .

وهكذا بدأ دور جمال عبد الناصر في حياة شعبنا . بعد مخاض
طويل في ظلمات العبودية واليأس والظلم والطفيلان .

ان «جمال عبد الناصر» هو الذي صنع هذا الشيء الرائع الذي حدث
في بلادنا لأول مرة منذ أربعمئة عام .

انه هو الذي صنع الوحدة بين الشمال والجنوب . عندما استجاب
لنداء الشعبين السوري والمصري .

وجمال عبد الناصر لم يبتكر الوحدة بين مصر وسورية ، فان هذه
الوحدة صلة موعلة في القدم بين الاقليمين . وقد كانت موجودة قبل
مولد جيل عبد الناصر كله بالوف السنين .

غير ان ارادة الوحدة التي نارت في صدور الملايين في الشمال
والجنوب . لم نجد من يضع التنفيذ الا جمال عبد الناصر البطل
الذي تم على يديه شيء خارق لم يحدث في بلادنا منذ أربعمئة عام . تمت
على يديه معجزة جمعت ممثلي مصر وسورية معا في عاصمة واحدة . تحت
راية واحدة . متجهين الى هدف واحد .

ان هذه الوحدة التي فرضها شعب سورية ومصر على قيادته القومية
المؤمنة بأهدافه . لاينتقص منها تلك النكسة الانفصالية التي قامت وانتصر
في الجولة الاولى منها عملاء الاستعمار .

فالوحدة هي الخطوة المنطقية التي قاد التاريخ شعبنا اليها بشيء
يسميه الالهام .

ان شعبنا بغيريزنه لا يخطئ الطريق الصحيح ، لان في أعماقه الهاما
عجيبا يضيء له كل الطرق ، فيعرف أيها أهدي سبيلا ، وأيها يبلغ به
عدفه العظيم .

وهكذا اختار الشعب في سورية ومصر الوحدة لانها طريقه الخاصة،
لم يمهدا له أحد ، ولم يشر عليه بالسير فيها أحد . ولم يعلق له على
جانبيها المصابيح أحد .

كل ماحدث هو أن «جمال عبد الناصر» استطاع أن يفتح عيون الشعب
العربي على الطريق الصحيح .

وعلى ضوء الهدى الجديد استطاع الشعب أن يرى نفسه ، وطوال
الايام الاولى التي استمرت فيها الوحدة تبدلت أحواله تماما . تبدل
مصيره . انتهى نحسه القديم . لقد تحول الشعبان الى شعب ينعقد الحير
بيديه ، ويفتح له المستقبل جميع أبوابه .

ومع الوحدة ، زادت الصناعات في سورية ومصر ، وكانت تزداد
سما كل سنة ، وراحت الميزانية تنضخم وتكبر وتنسج مواردها ، كما
تنسج وجوه نفقاتها لخير هذا الشعب ومصلحته ورخائه ومجده .

وجيشنا أصبح أكبر قوة في الشرق الاوسط ، وبعد أن كانت
اسرائيل « بيع » العرب الضعفاء ، أصبح العرب يبيع اسرائيل ، لانهم
صاروا أقياء .

ومع وجه شعبنا الذي يبرز وسط هذه الاحداث التاريخية ، يبرز
وجه قائد هذا الشعب ، الذي كان مهندس جميع هذه الانتصارات ، وملهم
الشعب ، ورائده في الطريق الذي تقف على جانبيه ذئاب الاعداء تريد أن
تنخطف أمتنا السائرة فيه .

وعندما استطاع الاعداء أن ينتكسوا بالوحدة ، وحاولوا أن يمزقوها
ويطعنوها ، تم جدوا في محاولاتهم خلق صدام بين أبناء الشعب الواحد
وقف عبد الناصر وقفته الخالدة .

فوق الآلام ، وفوق الجراح .

وكان هذا هو الموقف التاريخي الكبير للشعب العربي بقيادة زعيمه
البطل جمال عبد الناصر ، في تلك المرحلة الحاسمة عن تاريخ العروبة
وتاريخ المعركة التي تخوضها العروبة ضد أعدائها المتربصين بها من الخارج
والمندسين بين صفوفها في الداخل .

ولم يكن هذا الموقف التاريخي الكبير ، مجرد بطولة رومانتيكية
للشعب العربي وزعيمه ، في المناسبة التاريخية العاصفة التي اقتضت هذا
الموقف .

فقد انتهى تماما زمن البطولات الرومانتيكية في دنيا الكفاح العربي ،
منذ تسلم زمام قيادتهم وزعامتهم جمال عبد الناصر ، البطل الخيالي
البطولة ، ولكنه في الوقت نفسه ، البطل الواقعي الذي يرى بكل وضوح
معالم الحقائق حواله ، ويلمس مادتها الصلبة ، ويتخذ منها المواقف
الصحيحة النبيلة ، المتسمة بكل اثاره البطولة الرومانتيكية الرائعة ،
ولكن بواقعية تامة ، وعقل واسع عميق خال تماما من الاوهام .

والشامتون من أعدائنا ، كالصهيونيين والاستعماريين والعملاء الذين
اعتبروا أن موقف عبد الناصر وشعبه فوق الآلام ، وفوق الجراح ،
موقف بالغ النبيل الى حد الاقتراب من مواقف الفروسية القديمة ، التي
لم تعد الآن مواقف عملية ، هؤلاء الشامتون المعادون للعرب والعروبة ،
ولزعيم القومية العربية بوجه خاص ، توهموا أن عبارة عبد الناصر الخالدة
التي عبر بها عن أله الانساني الحقيقي الذي لا يمكن انكاره ، ثم عبر
بها عن تساميه فوق هذا الالم ، توهموا أن هذه العبارة تدل على أن
القومية العربية لم تلتصق في كفاحها بواقع الحياة ، وحقائق العالم الذي
يعيش فيه الناس ويتنازلون ويسفك بعضهم دماء بعض ، ولو كانوا ذوي
قربى أو كانوا أخوة أشقاء .

وقد أخطأ أعداء القومية العربية في فهم نفسيتها ومثلها الأخلاقية
الترقيعية ، عندما جمعت القومية العربية انتصاراتها الباهرة خلال السنوات
اعسر الماصية بقيادة جمال عبد الناصر .

في ذلك الوقت الذي هو على مرمى بصرنا ، ظل أعداء القومية
العربية يرمونها بالنعصب العنصري والاستغلال والوحشية والرغبة في
سفك الدماء .

لهذا رفع الاعداء عفاثرهم وكانهم يحتجون على أن عبد الناصر ، أطلق
في وجه الازمة الانفصالية الرجعية ، صيحته الخالدة .

«عوق الآلام ، وفوق الجراح» ولم يطلق بدلا من هذه الصيحة النبيلة
صيحات أخرى فإن أعداء قوميتنا يودون سماعها في هذه الازمة الانفصالية
التي صنعها أعداء العرب وعملاؤهم .

لو أن عبد الناصر استسلم للمرارة في هذه الازمة وهو شعور انساني
طبيعي لهلل أعداء القومية العربية ، وانخذوا من ذلك حجة « كبرى » على
ما يريدون ترويجها من أباطيل وأراجيف حول القومية العربية وقائدها
ورائد كفاحها العظيم .

أما وفد وقف جمال عبد الناصر ، يطلب الى الشعب العربي أن يرتفع
ساعة الألم ، فوق الجراح والآلام ، فإن الاستعماريين والصهيونيين أبدوا
دهشنتهم وخيبة أملهم ، لان «جمال عبد الناصر» في أشد ساعات الازمة
ظلاما ، لم يشأ أن يعطي الظالمين من المستعمرين ومملائهم فرصة .

ولم يكن جمال عبد الناصر ، حين ارتفع مع شعبه فوق الآلام والجراح
يمارس بطولة رومانتيكية مجردة ، كما يتوهم خصومنا ، بل كان في
الواقع يقف مع شعبه في مستوى الحاد التاريخي الجسيم الذي وقع .

ان ارتفاع عبد الناصر وشعبه فوق الجراح والآلام ، مواجهة
واقعية للحقائق التي اجتمعت في الازمة الانفصالية الرجعية التي انفجرت
في دمشق .

ولم يكن ثمة بديل لهذه المواجهة الواقعية للموقف الحاد، إلا مواجهته
بالعنف .

وعندئذ يرفع العربي السلاح في وجه أخيه العربي ، ويسفك
السيفي دم شقيقه .

ولو أن عبد الناصر ، لم يكن شديد الواقعية في النظر الى الامور .
لانساق وراء نداء العنف ، ولتدفق فوق الارض العربية سيل من الدم
العربي .

ولكن عبد الناصر ، يعرف يقينا أن الدم العربي لن يجري الا في
التحام دموي لتقرير المصير العربي حين يصبح لامفر له من الالتحام بأعدائه
المتربصين به في طريق حربيته ووحدته ليمنعوه من بلوغ غاية هذا الطريق
الطويل .

وشهد الناصر ينظر الى الامور كلها نظرة شاملة . كانه ينتظر من فوق جبل انه « مستقر الحرب » الذي يرى لهم وهو مدحلق في السمسمه ابعادا شاسعة ، هي ابعاد مستقبلهم الذي يرتاد لهم طريقة الوعر الشاق .

وهذه النظرة الشاملة للامور . هي التي جعلت عبد الناصر لا يعطي الانقلاب الرجعي الانفصالي في دمشق أكثر مما له من الخطورة . فقد كان بلا ريب حدثا خطيرا جسيما .

ولكن مهما كانت خطورته وجسامته ، فان النظرة الشاملة للامور نظرة عبد الناصر . قد وضعت هذا الحادث بكل خطورته وجسامته ، في موضعه الصحيح بلا زيادة ولا نقصان ، وأدركت بجلاء أنه مامن حاد ضخم ينفجر في دنيا العرب الواسعة ، يمكن أن يكون على المدى الطويل أكثر من جسر ينهار فوق النهر الجاري للقومية العربية ، ومهما تدن ضخامة هذا الجسر ، ومهما يكن الدور الذي أحدثه عندما انهار . فان من الممكن اصلاح أمره . تم مواصلة السير في الطريق العربي الممتد الى آخر مدى للأمال العربية .

وهكذا لم يكن عبد الناصر عندما طلب الى الشعب العربي أن يرتفع فوق الجراح والالام ، يمارس بطولة رومانتيكية ، كما يزعم أعداء العرب . بل كان يمارس واقعية صرفه ، تلتصق بالواقع الى أقصى حد ، ولا تغفل لحظة عن مقتضيات الواقع .

ان واقعا القومي كله كأمة عربية تناضل في سبيل حريتهما ووحدهما ، قد فرض موقف الأخوة النبيل الذي وقفه عبد الناصر في الأزمة الانفصالية الرجعية العميلة للاستعمار . قد ثبتت مواقعها في الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة .

وصحيح أن المباغتة الغادرة التي لجأ اليها الانفصاليون العملاء . قد أعطتهم ربحا مؤقتا ، وأكسبتهم أول جولة .

ولكن متى كانت معارك التاريخ الكبرى تنتقر بجولة أولى أو ثانية أو ثالثة ؟

ان عبد الناصر لم يكن يناضل من أجل اتحاد مصر وسورية فقط . فلو كان اتحادهما هو غاية جهاد عبد الناصر ، ماكان لهذه الغاية مضمون ثوري عربي ، ولكن عبد الناصر يجاهد من أجل القومية العربية بأوسع معانيها ، يجاهد من أجل أمة عربية واحدة تتحرر وتستقل وتسلك طريق التطور والعدالة الاجتماعية ، وتساهم في خدمة النوع الانساني كله . .

وهذه الرسالة الكبيرة ، التي قلما حمل مثلها زعيم من زعماء التاريخ لايتقرر مصيرها بعمل طائش تقوم به عصابة مفتونة باغية لا ترى الا مصالحها الشخصية في أضيق الحدود ، بغض النظر عن جميع مصالح الشعب الكبرى .

ولهذا فان انتصار عبد الناصر سيجتاز طريقا طويلا مليئا بالعواصف
والحوازر والمفاجآت والتضحيات والالام والجراح .

وقد عند عبد الناصر عزمه على أن يرتفع دائما فوق كل هذه الآلام
والجراح والتضحيات ، ويتخطى دائما حواجز الطريق ، ويصمد لعواصفه ،
ويتمالك جأشه أمام مفاجآته .

فهذه الآلام والتضحيات والحوازر هي علامات الطريق النبيل الذي
يسير فيه عبد الناصر .

وقد اعتاد منذ عشر سنوات أن يرى هذه العلامات في طريقه ، فلا
يتوقف عندها ، انه فقط يدللها أو يزيلها أو يهزمها ، ولكنه لا يقف عندها ،
ولا يفكر في الوقوف .

والذين دهشوا للثبات الرائع الذي أبداه زعيمنا البطل في مواجهة
غدر العصابة الانفصالية الرجعية ، كان مبعث دهشتهم انهم لم يستطيعوا
أن يعيشوا تجربة عبد الناصر ، كما يعيشها هو .

ان الثبات في مواجهة الغدر والحيانة وكل المفاجآت الاخرى ، هو
السلاح الذي يهزم به عبد الناصر عقبات الطريق .

وعلى هذا الضوء ، نستطيع أن نتبين منذ الآن مصير الانقلابيين
الرجعيين في سورية .

لقد نجحوا بعض الوقت في تحقيق أطماعهم ومؤامراتهم وأقاموا
لأنفسهم حكومات « كرتونية » يرعاها الاستعمار ، ثم انتفض الشعب وطرد
الذين قاموا بالحركة ، ولكن الآخرين الذين حلوا محلهم أبوا الا أن يكونوا
في وضع لا يحسدون عليه .

ولكن

هل انتهت الوحدة ؟

هل أصبحت سورية في واد ، ومصر في واد آخر ؟

وهل كان الحديث عن التومية العربية خرافة أو حلما تبخر بمجرد
قيام الحركة الانفصالية في سورية ؟

لقد أجاب الرئيس جمال عبدالناصر على هذه الاسئلة عتب حركة
الانفصال بقوله :

« ليس هناك وقت يدعونا للتمسك بعروبتنا أكثر من هذا الوقت »

ثم قال في اليوم التالي :

« لا بد أن تكون النكسة نقطة بداية لانطلاقة جديدة من أجل كل
أهدافنا » .

وهكذا عرض الرئيس المشكلة ، ووضع الحل .

فالوحدة ضرورة حتمية فرضها التطور التاريخي للشعب في سورية
وفي مصر ولم تكن الوحدة سهوة طارئة أو نشوة غالبية ، ولانها تمت
استجابة لظروف تفرضها وتحتم وجودها .

ظروف العدوان على مصر التي دفعت الشعب السوري الى نسف أنابيب
البتروال التي تمر بأراضيه .

وظروف التجمعات التركبية على حدود سورية وتحركات الاسطول
السادس الامريكى ومؤامرات الاردن .

لقد كانت في مصر حركة وطنية بلغت ذروتها ، وكان في سورية
أيضا حركة وطنية ملتبهة ، وتعرضت الحركة الوطنية في كل من سورية
ومصر للمؤامرات والعدوان والتهديد .

فهل كان هناك مفر من وحدة تجمع الشعبين في نضال واحد ،
وكفاح مترابط ضد قوى الرجعية والاستعمار ؟

فالظرف التاريخي أو الأخطار التي كانت تهدد الشعبين هي التي
صهرت هذه الوحدة ، وهي التي خلقتها وكونتها .

فهل انتهت الحركة الوطنية في كل من القطرين ؟ وهل انتهت
الأخطار ؟

اذن لماذا حدث الانفصال ؟

انها «النكسة» كما عبر عنها الرئيس .

فالحركة الوطنية لم تبلغ غاياتها ، والاسطول السادس كان يجول
جنباً الى جنب مع الاسطول البريطاني حول المياه العربية ، والمؤامرات كانت
لا تزال قائمة فلماذا حدثت «النكسة» ؟ وكيف تجمعت الرجعية وحدث
الانفصال ؟ .

ثم أى نوع من الانفصال هذا الذي حدث ؟

لقد قامت في سورية حكومات رجعية ، ولكن هل قيام هذه
الحكومات فصل بين الحركة الوطنية في سورية والحركة الوطنية في مصر ؟
وهل استطاعت هذه الحكومة أن تقف حائلاً بين وحدة الأهداف للشعب
في سورية والشعب في مصر ؟ لقد قالها الشعب السوري قبل أن تمضي
ستة شهور على الانفصال حين أطاح بالانفصاليين الذين قادوا حركة
المؤامرة .

ومع ذلك فالوحدة مازالت قائمة .

— الأخطار التي تهددنا في مصر مازالت تهدد شعب سورية .

— والأهداف التي نسير اليها في مصر يكافح من أجلها شعب
سورية .

— والمصالح المشتركة بين الشعبين لم ولن تتغير .

ذالوحدة كتطور تاريخي لازم المتسمين في مصر وسورية ما زالت
فائزة ، والنكسة التي حدثت لم تظن الا الشكل ، والحكومات الانفصالية
التي قامت في سورية والتي ظننت أنه بوجودها قد فصمت الوحدة انبثرت
أمام مدير الجماهير وزحف الجموع في سورية .

ولكن الصراع ظل قائما في سورية .

انه الصراع الذي كان قائما قبل الوحدة ، والذي عبر عنه الرئيس
في ذلك الوقت بقوله :

« اننى أعرف أن الوحدة حينما تقوم ، كل صاحب مصلحة عايز
مصلحته بس هي اللي تتحقق ، فيه تناقض في المصالح ، فيه تناقض
في الاهداف السياسية ، فيه تناقض في أهداف الرأسماليين ، كل واحد
طلب الوحدة لمصلحة تختلف عن الآخر » .

نعم كانت هناك مصالح متعارضة .

الشعب يريد الوحدة ليحمى تطوره من مؤامرات الاستعمار
والرأسمالية تريد أن تحمي نفسها من هبات الشعب السوري وهي أيضا
نطمع في فتح سوق مصر لها ، تطمع في الاستفادة من تطور اقتصاد
الجمهورية العربية .

وتمت الوحدة في هذا الجو المشحون من المتناقضات .

وأسرع أصحاب الملايين يريدون أن ينهلوا من هذه البئر الجديدة
التي فتحت لهم بئر الوحدة .

وشمر أصحاب الملايين السوريون عن أذرعهم واقترضوا أكثر من ٥٠
مليون ليرة من البنك الصناعي في السنة الاولى لانشائه .

وعارض أصحاب الشركة الحماسية مشروع التصنيع الاول للاقليم
السوري ليحتفظوا باختكارهم للسوق ، واستغلال الشعب السوري .

وما حدث من أصحاب الملايين والاحتكاريين في سورية حدث مثله
من أصحاب الملايين والاحتكاريين في مصر ، لقد ظنوا أن الوحدة تمت
لحسابهم وحدهم ، وليست لجموع الشعب في سورية وفي مصر .

ولهذا عندما صدرت قوانين ١٩٦١ ، أطاحت الضربة بأحلام اصحاب
الملايين والاحتكاريين .

ولكن هناك الحتمية التاريخية .

الحتمية التاريخية أى الظروف العالمية التي يكافح من خلالها الشعب
في سورية والشعب في مصر هي التي فرضت الوحدة هذه الوحدة التي
تمت خلال شعار «القومى العربية» .

فما الحتمية التاريخية ؟

وما القومية العربية ؟

لقد ظلت مصر جزءاً من الخلافة التركية حتى تم الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ .

أما بقية العالم العربي : سورية ولبنان والجزيرة العربية والعراق وأجزاء أخرى من العالم العربي ، فقد ظلت تئن تحت الحكم التركي طوال صراعنا في مصر ضد الحكم البريطاني .

وما حدث في مصر حدث مايشابهه في البلاد العربية .

ففي ظل الاحتلال البريطاني لمصر ، كان مصطفى كامل يقول :

« ان اتفاقنا مع تركيا كان دائماً أساساً من أسس سياستنا »

وفي المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس خطب أحد أعضاء المؤتمر قائلا :

« ... لانتظر اليينا فكرة الانفصال عن هذه السلطنة «العثمانية»

مادامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة » .

ولكن تركيا رفضت اعطاء العرب حقوقهم وأقامت المشانق في سورية ولبنان وعراف ، فهبت الثورة العربية ، هبت الشعوب العربية التابعة للدولة العثمانية نحرر نفسها .

واستترك في الجيش العربي للثورة ثلاثمائة جندي من الجيش المصري مع ضباطهم وبطارية من المدافع ، وآن الضباط المصريون متعسرين على أنه بعد دفع كابوس الأتراك عن البلاد العربية لا بد من اخراج الانجليز من مصر وغير مصر .

وهكذا بدأت نواة النضال المشترك بين الشعب في مصر ، والشعوب العربية في سورية ولبنان والجزيرة العربية .

ولكن حدثت النكسة ، وتقاسمت فرنسا وانجلترا سورية ولبنان وفلسطين والعراق ، وانفردت انجلترا بمصر .

وفي الوقت الذي كان الشعب في مصر يشعل ثورة ١٩١٩ ، كانت الشعوب العربية تخوض معركتها في موقعة ميسلون .

وكما انتكست ثورة ١٩١٩ ، انهزمت الثورة العربية في دمشق ، وأطاح الاستعمار الفرنسي بأول حكومة عربية أعضاؤها من مختلف الشعوب العربية .

ومنذ سقطت أول حكومة عربية في سورية أعضاؤها من مختلف الشعوب العربية ، لم تقم حكومة عربية مشتركة الا في عام ١٩٥٨ عندما نمت الوحدة بين مصر وسورية .

ولكن خلال هذه الأعوام من ١٩٢٠ الى عام ١٩٥٨ كانت فكرة الوحدة العربية تتبلور ، وتحاول أن تشق طريقها . محاولات من التبادل الثقافي ، ومحاولات لإقامة العلاقات الاقتصادية ، وتأييد في الكفاح لكل ثورة يقوم بها شعب عربي .

وفي عام ١٩٥٨ •
وبمعنى ادى في تلك اللحظة التاريخية ، في تلك اللحظة التي انقسم
فيها العالم •

في تلك اللحظة التي نفض فيها البشرية ، بعلومها وحضارتها نحو
الفضاء •

في تلك اللحظة التي تعمل فيها كل دولة «كبرى» على أن تجد مسكنا
لائقا لكل فرد من أبنائها ، وأن تيسر العمل لكل أفرادها •

- تمت الوحدة بين سورية ومصر •
- لقد كان العالم يمر بأهم مراحل تطوره •
- فأين كنا نقف نحن ؟

من قبل خرجت الشعوب العربية من بحث الاحتلال أو الانتداب
أو الوصاية لتجد نفسها وسط هذه المرحلة ، تريد أن تحافظ على تحررها
وتريد أن تلحق بالحضارة الجديدة ، وتريد أن تتبوأ المسان اللائق
بالانسان •

ووجدت أن مقومات القومية العربية تكاد تتكامل بل تفرص نفسها
ووجودها •

- اللغة الواحدة التي تربطها •
- الكفاح المشترك ضد الاستعمار •
- التفاهم القائم على أسس ثقافية مشتركة •
- ثم الرغبة في النهوض من مرتبة التخلف •

كل هذا كفيل بأن يدفع عجلة التطور بين الشعوب العربية في سرعة
وقوة للحاق بالعالم في مدينته الحاضرة •

ولكن هل كان يمكن أن تتحد دول تعيش بعقلية القبيلة أو الاقطاع
مع دول قفزت الى مرحلة التخطيط في الصناعة •

كانت أقرب الشعوب بعضها الى بعض في التطور والنضج والاهداف
هما الشعب السوري والشعب المصري •

ولهذا قامت الوحدة بين الشعبين بإرادة دافعة ورغبة في التطور
الصادق •

وكان يمكن أن تتم اشكال أخرى من الوحدة بين الجمهورية العربية
وبقية الدول العربية •

ولكن الرجعية العربية تريد وحدة حكومات ، لا وحدة شعوب ، تريد
أن تحافظ على الأوضاع القائمة ، ولا تريد أن تندفع مع التطور •

ولهذا وقفت الحكومات العربية تعمل على تحطيم الوحدة بين سورية
ومصر •

ولكن المعركة أكبر من أن تنتهي بنكسة .

فالمعركة يخوضها شعب العراق لاسترداد بتزوله السليب ،
ويخوضها شعب الاردن ضد الملك حسين .

كل الشعوب العربية اليوم في حركة وغيان ، فقد تخلفت طويلا
نتيجة كبت الاستعمار والرجعية وهي تريد أن تلحق بركب الحضارة
الصناعية ، تريد أن تبني صناعتها .

والقومية العربية ، والوحدة العربية هما الكفيلتان بتحقيق هذه
الأهداف فالشعوب العربية في مختلف أنحاء العالم العربي تكون نعدادا
ضخما ، كما تملك ثروات متعددة يمكن بتبادلها خلق مجتمع صناعي .

ولكن هل يقبل سعود أن يستبدل بالعلاقات القبلية علاقات اجتماعية
تقوم حول الصناعة ؟

وهل يقبل سعود أن يحول أموال متعته الى مصانع ؟

ولكن الشعب العربي في الجزيرة يكافح من أجل تحقيق هذه
الأهداف .

ولهذا كان أمام الجمهورية العربية احدى اثنتين :

— اما أن تقف في مكانها تنتظر التطور الذي يحدث في هذه البلاد
حتى تمضي في خطوات واحدة مع الحكومات العربية .

— واما أن نندفع في طريقنا وتمضى الشعوب العربية معنا .

وكانت هذه هي المعركة .

لقد ظنت الرجعية العربية في سورية أن الوحدة معناها تكوين
جمهورية عربية أنوقراطية تملك زمام الشعب وتتحكم في مصيره .

ولكن ماحدث جعلها في ذعر .

— قضى على الاقطاع .

— وحدث التأميم .

وكان هذا فوق احتمال الرجعية .

ولكن هل يمكن انتزاع هذه الحقوق من الشعب السوري ، واذا تم
انتزاعها اليوم فهل يمكن محو آثارها ؟ وهل يمكن أن ينسى الشعب
حقه في استردادها ؟

لقد حققت الوحدة الكثير ، وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر في

بيان ٦ من اكتوبر .

« ان هذه التجربة لن تكون الا خيرة وانما كانت التجربة عملية

رائدة استفدنا منها الكثير في تقديرنا ، وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربي وللوحدة العربية التي أشعر أن إيماني بها يزيد قوة وصلابة » .

وكان هذا هو ما حدث بالفعل .

فقد انكشفت المؤامرة أمام الشعب ، وأطاح بالانفصاليين المرتشدين الذين كشفهم عبد الناصر في أكثر من خطاب ، ولكن طعنات أخرى من الانفصاليين استطاعت أن تفرض سلطانها من جديد الى حين .

فما احتمالات المستقبل ؟

ان احتمالات المستقبل البعيد لا ريب فيها ، فهي النصر للعرب ، وهي الوحدة للعرب ، وهي التمدد الاجتماعي والازدهار والسعادة للعرب .

لقد قال عبد الناصر في إحدى خطبه : فلنواجه المستقبل بشجاعة ، تجاه الأعداء ، وتجاه أنفسنا .

وهذا التعبير الموجز البسيط الذي تحدث به عبد الناصر عن المستقبل يرسم لنا خط كفافنا في المرحلة القادمة من معركتنا ضد الأعداء ، ومعركتنا نحو أنفسنا لكي ترتفع أكثر وأكثر الى أعلى مستوى يتطلبه التقدم العربي في مرحلته الشافه القادمة .

ان متطلبات هذا النضال المرير ، تقتضى منا أن نتحلى بأعظم مزايا العرب القومية الماثورة وهي الشجاعة .

الشجاعة في مواجهة الأعداء .

والشجاعة في مواجهة أنفسنا .

ان أعداء القومية العربية ليسوا هم فقط أعداء المتربصين بها خارج بلادها بل هم أيضا الأعداء الذين يتكلمون مثلنا باللسان العربي ، ونعنى بهم الرجعية الانفصالية ، حليفة الاستعمار والصهيونية .

وفي مواجهة هذا الحلف الدنس ، حلف الاستعمار والرجعية ، لا بد لنا من مواجهة أنفسنا بشجاعة يجب أن ننقد أعمالنا نقدا ذاتيا ، يجب أن نعرف ما أخطأنا بالضبط ؟ يجب أن نعرف الثغرات التي نفذ اليها منها أعداؤنا المستعمرون والرجعيون .

ولم يبق الآن ريب في أننا سنواجه المستقبل بشجاعة تجاه الأعداء وتجاه أنفسنا كما قال عبد الناصر ، لان مستقبلنا ، مستقبل الأمة العربية كلها ، يتوقف على شجاعتنا في مواجهة المستقبل .

بطل السلام



لاول مرة في تاريخ العرب الحديث ، وقف زعيم لهم مع أقطاب العالم ، على مرأى ومسمع من العالم ، يمسك معهم بيديه مصير العالم ، ويقول كلمته في الحرب والسلام ، فيستمع اليه الاقطاب في بيبي-ل ويضعون آراءه في أرفع مواضع الاعتبار .

هذه هي الحقيقة الأولى التي رآها العرب بعيونهم أخيرا ، ورآها العالم كله معهم ، وهي حقيقة رائعة كان العرب يحلمون بها فبط ، ولم ينصمورا قط انهم سيدمسونها بأيديهم لمسا الا بعد زمن طويل من الكفاح والدم والدموع .

ولكن جمال عبد الناصر أخرج للعرب هذه الحقيقة من عالم الاحلام الى عالم الواقع ، ووقفت الأمة العربية مهتلة في شخصه مع أفوى الامم جنبا الى جنب ، وعلى قدم المساواة ، فلم تعد الامة العربية ، وقد تولى زعامتها جمال عبد الناصر ، صوتا ثانويا في العالم ؛ ولم تعد تابعا متواضعا يجرى في آثار سادته الذين يتبعهم فاذا رفعوا ايديهم بالموافقة على أمر وافق هو أيضا عليه ، واذا قالوا : لا ، سارع وراءهم فقال : لا .

وهذه الحقيقة الرائعة ليست واقعا أدبيا فقط ، ليس وراءه رصيد مادي مساو له ، وانما هي واقع أدبي ومادى معا ، لان عالمنا الحاضر ، عالم القوة والذرة والصواريخ ، لا يعترف بالحقائق الادبية مهما عظمت الا اذا استندت الى حقائق مادية عظيمة .

وقد سافر جمال عبد الناصر ووراءه جميع الحقائق المادية التي بناها في تاريخ بلاده وتاريخ المنطقة التي تعيش فيها بلاده ، وتاريخ العالم الذي يضم بلاده وبلاد الآخرين .

سافر جمال عبد الناصر الى الأمم المتحدة ووراءه الثورة العربية والقومية العربية والجمهورية العربية والمجتمع العربي الثورى الجديد ، وكلها مفاخر شاء التاريخ أن يتوج بها هذا الرجل لانه صنعها بيديه ، وحماها بيديه ، وكانت يده دائما في أيدي الشعب الكبير الذي يقوده ويعمل من أجله ويبنى كل هذه المفاخر وهذه الحقائق المادية التي أصبحت من علامات عصرنا .

في الماضي سافر بعض رؤساء العرب الى الامم المتحدة ، فلم يكن لهم
من الوزن والاعبار انتر مها لمتملى الدول التابعة مثل الدومينيكا ودورموزا
وايران وخدمومة سينجمن رى ، وكان اقصى ما يصنعه اونثت الرؤساء
العرب ان يستندروا الديموع على حقوق العرب الضائعة ، ثم يعود الرؤساء
الى عواصمهم العربية وكانهم قد ادوا واجبههم وفعلوا كل شىء .

وتسمن الان بين هذه الصورة اوتاليته للعرب ، مهيئة في رؤسائهم
اسمابطين ، وبين الصورة الجديدة التي ارتسمت امام العالم في شخص
جمال عبد الناصر .

ان عبد الناصر لم يستند دموع العالم على حقوق العرب التي تنتاهيها
الأيدي ، ولم يطلب الرحمة والعطف من المستعمرين ، ولم يلنى هناك كلاما
للاستهلاك المحلى ، بل وقف جمال عبد الناصر متسر بلا الحبيعه الكبرى التي
صنعها .

ان الاستقلال الذي كان ساسمة « مصر » يستوهبونه من الكبار ، قد
انتزعه جمال عبد الناصر فعلا من هؤلاء الكبار ، وعندما حاولوا استرداده
هزمهم وألقى بهم الى البحر .

ان الامة العربية التي كانت راقدة في اليأس والهزيمة قد انتفضت
يملؤها الامل ويدعها النصر ، واصبحت القومية العربية طليعة الحركات
القومية في افريقيه وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ولم تعد الوحدة العربية كلمات تتأرجح في الهواء ، لقد بدأت
نواتها بالفعل في الجمهوريه العربية المتحدة ، انى رسم للعرب جميعا
الطريق الصحيح للتضامن والاتحاد في وطنهم العربى الكبير من المحيط الى
الخليج .

ولم يعد المجتمع العربى رمزا للتأخر والجمود والتخلف بين المجتمعات
الحاضرة ، لم تعد بلادنا جنة الاقطاع والاقطاعيين ، لان « جمال عبد الناصر »
بدأ يبنى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى مجتمع القومية العربية
الخاص الذى تتجمع فيه كل أحلامها في التقدم والازدهار واللاحاق
بعصر الفضاء والصواريخ .

وبلادنا لم تعد بستانا لا حارس له ، يتناهب اللصوص خيراته ، لان
« جمال عبد الناصر » بنى لنا جيشا وطنيا قويا ، هو الآن أقوى جيش في
المنطقة التي نعيش فيها ، وفي استطاعته أن يرد كيد المعتدين ويكيل لهم
الضربة عشر ضربات .

وبلادنا لم تعد شريطا أخضر فقط ، لانملك سواء ، ولا نجد الرزق
الا بين تراهه السخى الوفى الغنى ، لان « جمال عبد الناصر » قرر أن يضيف
الى هذا الشريط الأخضر أشرطة أخرى خضراء ، قرر أن يبنى السد العسالى
ويضاعف الرقعة الزراعية ، وينشئ المصانع الحديثة ، ويحول بلادنا الى
ترسانة كبيرة نضنع فيها كل شىء ، ولا نحتاج لشىء كثير يأتينا من
الخارج .

كل هذه الحقائق اندمجت في الحقيقة الكبرى التي سافر بها جمال عبد الناصر الى الامم المتحدة ووقف بها أمام انظار العالم ، حمية الأمة العربية الجديدة التي قفزت الى الصفوف العالية الاولى ، ونبوات منعددها مع «الاقطاب» ، وتكلم زعيمها فاستمع اليه العالم كما استمع الى أكبر أقطاب الدنيا : ايزنهاور وخورشوف وماكميلان ونهرو .

وهذه الحقيقة المجيدة التي رفعت كرامة الشعب العربي في وطنه الاكبر كله ، هي التي رشحت «جمال عبد الناصر» صانع هذه الحقيقة المجيدة ، ليقوم بالدور التاريخي العظيم الذي قام به في الأمم المتحدة ، وكان مستحيلا أن يقوم بهذا الدور قبيل اليوم زعيم عربي من الطراز القديم الذي قضت عليه ثورة جمال عبد الناصر .

ماذا صنع عبد الناصر في رحلته هذه التاريخية الى الامم المتحدة؟ .

ان أول شيء فعله انما هو اعطاء العالم فكرة جديدة عن الأمة العربية بعد أن أعطى الزعماء القدامى كل العالم فكرة عن الأمة العربية ظلت راسخة فترة طويلة ، كأسوأ دعاية ضد بلادنا وأمتنا في الخارج .

لقد كان ظهور عبد الناصر في نيويورك ، معقل الصهيونية العالمية ايدانا للعالم كله بأن العرب لم يعودوا تحت رحمة الصهيونية ، لقد أصبح العرب أقوىاء يقودهم « ناصر » الذي يعتبر اسمه علامة عصر جديد للعرب في جميع بلدانهم .

لم تكن نيويورك تتوقع زيارة مفاجئة كهذه يقوم بها الرئيس جمال عبد الناصر الذي يعيش في نيويورك أعنى أعدائه ، ولهذا كان ظهور عبد الناصر في نيويورك دليلا على أنه أقوى من جميع العتاة الذين يناصبونه وأتمته أفسى ألوان العداة .

ومنذ اللحظة الاولى لوصوله الى نيويورك ، أصبح واضحا انه أحد الاقطاب القلائل في العالم الذين يمسون زمام الحرب والسلام ، ولم يجد الصهيونيون حيلة لاختفاء هذه الحقيقة فاستسلموا لها ، واستطاع عبد الناصر أن يعزلهم عن مراكز النشاط الرئيسية ، ويثبت للعالم أن العرب هم أصحاب المنطقة التي يعيشون فيها ، وان الصهيونيين القلائل هم عصابة من الدخلاء والمغتصبين .

وعندما هرع ماكميلان الى حيث يجلس جمال عبد الناصر في اجتماع الامم المتحدة ، ومد ماكميلان يده اليه ، شاهدت جميع الشعوب انتصار عبد الناصر في حرب السويس عام ١٩٥٦ يلخصه هذا الموقف التاريخي بينه وبين رئيس الدولة المهزومة في حرب السويس .

ان عبد الناصر لم يذهب الى ماكميلان ولم يلتفت اليه ، لان ذلك ما كان يفعله زعماء العهود البائدة عندنا ، وكان لا بد اذن من أن يخطو رئيس وزراء بريطانيا العظمى الخطوة الأولى ، ويذهب الى جمال عبد الناصر .

وعندما التقى عبد الناصر بايزنهاور وخورشوف وغيرهما من قادة

الدول كان عبد الناصر يقف في مركز القوة المعنوية ، كما يقف في مركز القوة المادية التي أتاحها له مركزه الضخم كرائد وقائد وزعيم لانشط وأقوى قومية في آسيا وإفريقية .

وعندما تكلم عبد الناصر في الأمم المتحدة ، هرع لسماعه كل مندوبي الدول ، وجلس يصغى اليه جميع الزعماء والرؤساء ، ولم يتخلف عن سماعه حتى وفد اسرائيل بقيادة جولدا مائير ، لأن كلمات عبد الناصر موضع اهتمام العالم بأسره ، لا فرق في ذلك بين أعداء عبد الناصر وأصدقائه .

ودوى اقتراح عبد الناصر في الأمم المتحدة باجتماع ايزنهاور وخروشوف دوى القنبلة ، وتحول على الفور الى اقتراح تاريخي تقدم به جميع زعماء الحياذ .



وهكذا كان ظهور عبد الناصر في نيويورك علامة انعطاف هام في تاريخ العرب ، بعد انعطوا من اندرب إسبيني الذي كانوا يسرون فيه الى صريق صميخ اصبحوا فيه نوه هاسه في ميزان العساد ، ولم يعودوا وسهم سي صد الطريق ، فند سار معهم فيه لما سكان العالم في السارين الكيرين اسيا واصريية ، وحتى امريكا اللاتينية أصبحت نجد في ساح العرب ببيادة جمال عبد الناصر وحييا يلهمها في كفاحها الشاق ، كما قال كاسرو نجهال عبد الناصر : «ان شعب كوبا من أشهد المعجبين بالشعب العربي ، وانه يشعر بأن مجيء الرئيس العربي لزيارته في حي هارلم يعد شربا عظيما لكوبا وشعبها ، وخاصة ان شعب كوبا يكن شعورا بالاعجاب بالثورة العربية وبالعطف عليها ، وهانحن أولاء نرى امامنا الزعيم عبد الناصر انى سجل في التاريخ تضحيات الشعب العربي يشجعنا على الاستمرار في مدافعة المستعمرين والاستعمار كما فعل الشعب العربي » .

وهكذا أصبح عبد الناصر في نظر العالم مرادفا للعرب ، ان اسم «ناصر» هو بالضبط اسم الأمة العربية في كل مكان ، وقد ارتفعت مكانة الأمة العربية عندما أصبح اسم ناصر مقرونا بالجهود العظيمة التي بذلها ويبدلها دائما في سبيل السلام والمحافظة على الاستقلال والحياذ .

وكانت مهمة عبد الناصر في نيويورك هي بالفعل المهمة التي تمتها كل الشعوب : ففي نيويورك جاء عبد الناصر ليقابل الشعوب كلها ممثلة في الامم المتحدة ، ولم يتلق الدعوة من أحد ، لان عبد الناصر تعود دائما أن يلتقي بالشعوب دون وساطة ، ويتحدث اليها دون أن يحول بينه وبينها حاجل ، فالمصانح التي يدافع عنها عبد الناصر وتدافع عنها الشعوب مصالح واحدة ، لاتناقض ولا تتعارض وتوجه كلها في آخر المطاف الى هدف واحد ، هو حماية السلام العالمي ، وازدهار الرفاهية للإنسانية كلها ، وحماية الشعوب الصغيرة من أن تقع فرائس للدول الكبرى المدججة بأسلحة الدمار الشامل .

وهكذا التقى عبد الناصر بالشعوب في الأمم المتحدة ممثلاً للشعب العربي وللقومى العربية ، وهو بهذه الصفة وقف أمام العالم كله ممثلاً لقوة صاعدة جبارة تشارك بقوة وجسارة فى صنع التاريخ الحديث لمنطقة الشرق الأوسط كله ، بل وللعالم بأسره ، وكان لقاء عبد الناصر بالشعوب فى الأمم المتحدة ممثلاً لتضمير الانسانى الذى تتضمنه دعوة الحياض الايجابى التى كان عبد الناصر دائماً فى مقدمة الحاملين لرسالتها والمدافعين عنها ؛ والمؤمنين بأثرها العظيم فى حراسة السلام العالمى ، وحماية الجنس البشرى ، وصيانة استقلال الشعوب الصغيرة وفتح أبواب جديدة تدخل منها شعوب أخرى تنتزع استقلالها من الاستعمار .

وعندما التقى عبد الناصر بالشعوب فى الأمم المتحدة كان ممثلاً للجهت مع الجديد فى بلاده التى تبدل كل جهدها للحاق بموكب العصر الحديث فى ميادين الصناعة والزراعة والعلم وغيرها من ميادين الحياض ؛ وبهذه الصفة وقف عبد الناصر أمام العالم كله ممثلاً لقوة تتطور فى الشعب العربى ، وهى قوة هائلة ذات آثار شديدة الفعالية ، استطاعت خلال سنوات قليلة ان تفتتح كثيراً من جنود الرجعية وتغرس كثيراً من جنود التقدم ، وتفتح للأمة العربية باب العصر الذى وعصر انضاء ، ونسب بالانسان العربى على رأس الطريق الذى سار فيه انسان النصف الاخير من القرن العشرين ، والتمنى عبد الناصر بالشعوب فى الأمم المتحدة كفاً وطنى لبلاده ، فلدها فى معارك عسكرية ضد أعداء كثيرين ، وألحق بهم هزائم تاريخية لم تحرر بلاده فحسب ، بل فتحت طريق الحرية لشعوب كثيرة تتطلع إليها فى أفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية .

وهكذا التقى عبد الناصر بالشعوب فى الأمم المتحدة وفوق جبينه عدة أكليل لا أكليل واحد ، وتحدث إليها أحاديث قريبة الى قلوبها وضمائرها ومصالحها ، ووقف فى كل قضية موقفاً ترضاه كل الشعوب لاشعبه فقط ، وبهذا عبر عبد الناصر عن روح سياسته العظيمة التى ربطت مصلحة الشعب العربى بمصالح الشعوب الحرة جمعاء ؛ وجعلت الشعب العربى حليفاً لجميع الشعوب الحرة المكافحة ، لا يعادى الا من يعاديه ، ولا ينكص على عقبه فى معركته المجيدة ضد الاستعمار والصهيونية .

ان عبد الناصر وضع قدميه لأول مرة على الارض الامريكية ، وقد سبقه وجاء بعده رؤساء حكومات ودول من جميع القارات ، ولم يكن أحد يتصور أن هذا الحشد العظيم من قادة العالم يمكن أن يجتمعوا جميعاً بدعوة من الحكومة الامريكية ، ولم يخطر على بال حكومة أمريكا أن رؤساء العالم سيجتمعون فوق أرضها هذا الاجتماع التاريخى الذى فتح الباب لاجتماعات أخرى تاريخية واسعة حاسمة .

ان مصير الجنس البشرى ، هو الذى أرسل رقاد الدعوة الى هؤلاء القادة ، فكان لابد لهم من تلبية الدعوة والسفر الى الارض التى كان من الاحتمالات البعيدة أن يسافر إليها الكثيرون منهم .

وقد سافر عبد الناصر الى نيويورك معكوبا من العلام ومن الشعوب .
وحمل هناك قسيما على السلام وعلى الشعوب ، وليس له من هاتك هناك
الا اقرار السلام فى سبيل الشعوب . ولم يحدث قط فى تاريخ
الدبلوماسية ان سافر رئيس دولة فى مهمة كهذه الى ارض بعيدة كارض
امريكا تعج بمن يناصبونه العدا ، بل وبمن يعتبرونه عدوهم الاول .

ونزل عبد الناصر فى قلب نيويورك . فى عاصمة الصهيونية
الكبرى ؛ فى بلد يعيش فيه خمسة ملايين صهيونى يملكون تروته ؛
ويؤثرون فى سياسته ، ويحتلون فيه مراكز القوة والتوجيه .

ولكن عبد الناصر لم يابه لشيء من ذلك ، لم يفكر فى قوة الصهيونية
الهائلة فى نيويورك ، لم يخش مؤامراتها وحماقاتها ودسائسها ؛ لأنه
أقوى منها كثيرا ؛ ولهذا ذهب اليها فى عربنها .

وقد كان سفر عبد الناصر الى نيويورك علامة خير كبير للانسانية
فى اللحظات الحرجة التى كان يمر بها السلام العالمى وتمر بها الشعوب
الصغيرة وخاصة الشعوب المستقلة حديثا فى افريقية ، كما تمر بها الامم
المتحدة بالذات بعد التجربة القاسية التى شهدتها فى الكونغو .

وكما قالت جريدة الايكونومست البريطانية فان قرار سفر الرئيس
عبد الناصر الى الامم المتحدة «قد طغى على كل القضايا السياسية الاخرى»

ولم تنكر الصحافة العالمية فى أمريكا ودول الغرب الاهمية التاريخية
لسفر الرئيس الى الامم المتحدة ؛ ومن البديهي انه قد ارتفع الى جوار
الحقائق كثير من الاكاذيب التى حاولت الصحافة الصهيونية والاستعمارية
أن تثير غبارها فى طريق رحلة الرئيس .

وقد اعتدنا نحن العرب منذ وقت غير قصير أن نتجاهل الغبار الذى
تثيره شياطين الاستعمار والصهيونية فى طريقنا لأن الحقائق التى نتسلح
بها فى مواقفنا تتكفل دائما باضاءة طريقنا وكشف خصومنا واعلاء كلمتنا
والحاق الهزيمة بهم .

لقد حمل الرئيس الى الامم المتحدة رسالة العرب التقليدية ، رسالة
السلام والحرية والاخاء ، وبرهن برحلته التاريخية هذه على أن القومية
العربية تعيش الآن فى مستوى الاحداث التاريخية الجسام التى يمر بها
العالم .

وبين باندونج التى سافر اليها الرئيس منذ سنوات . ونيويورك
التي نزل فوق أرضها عاش العالم خمس سنوات عصيبة زحف خلالها الى
حافة الهاوية عدة مرات ؛ وتقهقر عنها عدة مرات حتى باتت أعصابه
مشدودة الى أقصاها ، متوترة الى حد الجنون ؛ مشتتة لا ينقصها الا
الانفجار النهائى الرهيب .

لقد اصطدمت كتلة الشرق بكتلة الغرب ، وامتدت يد كل منهما الى
خنجرها الذى لتغمده فى صدر الاخرى وأصبح العالم مهددا بمعركة فناء
لا يفنى فيها الغرب وحده ، ولا الشرق وحده ، بل يفنى فيها البشر جميعا

وتنهار الحضارة من أساسها ؛ فكان لابد أن يسارع المحايدون لاطفاء النار ، ومنع امتداد لهيبها ، والحيلولة دون الكارثة .

وفى هذه الظروف الحاسمة قطع عبد الناصر الممافة بين القاهرة ونيويورك بدعوة من الشعوب ليقول كلمة شعبه وكلمة الشعوب فى القضايا الكبرى المعروضة على الامم المتحدة فى دورتها الخطيرة .

وفى نيويورك اجتمع ممثلو دول الاستعمار ، والدول المنكوبة بالاستعمار والدول التى تحررت حديثا من الاستعمار ودول الكتلة الشرقية ، ودول الحياد . وقد كانت فكرة اجتماع أقطاب الحياد فى مؤتمر لهم فكرة ايجابية بحسبها أقطاب الحياد فى اجتماعاتهم الكثيرة ، وكان هدفهم من هذا المؤتمر العظيم المقترح أن يبينوا المشئون الدولية التى بلغت قمة الخطر ؛ وكان واضحا دائما أن هذا المؤتمر الجهادى ستكون له فائدة مضاعفة اذا تم عقده داخل الامم المتحدة ، وبمؤدلت رسائل كثيرة بين زعماء الحياد فى آسيا وافريقيا وأوروبا دارت كلها حول المتكلمات العالمية وضرورة ايجاد حل لها داخل الامم المتحدة ضامانا لاحاطتها بتأييد ممثل أكبر عدد من دول العالم .

وقد تجلست هذه الفكرة الجهادية فى البيانات الرسمية التى صدرت خلال اجتماعات الرئيس جمال عبد الناصر بزعماء الحياد الايجابى : كالرئيس نهر والرئيس تيتو والرئيس سوكارنو .

وقد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها الخامسة عشرة بعد أن وافقت على انضمام قبرص وتلات عشرة دولة افريقية جديده ؛ وبذلك تضاعف عدد الدول غير المنحازة للأمم المتحدة ، وقويت جبهة الحياد ، وازداد نفوذ الجبهة الآسيوية الافريقية ، وتقلص النفوذ التقليدى الذى كانت بعض الدول الكبرى تسيطر به على الامم المتحدة وقراراتها ؛ وجدت بذلك انعطاف تاريخى هام فى حياة هذه المنظمة الدولية التى علقت عليها الشعوب وما زالت تعلق آمالها فى السلام والاخاء الانسانى والغاء العبودية الاستعمارية ومحو التفرقة العنصرية وانهاء الصراع بين الشرق والغرب ونزع أسلحة الدمار التامل والسير فى طريق التعايش السلمى بين الدول جميعا .

وفى هذا «الطقس» الدولى الموائى اجتمع أقطاب الحياد فى نيويورك؛ والتقى عبد الناصر برفاقته فى الكفاح الجهادى ، وبدأ هؤلاء الأبناء البررة للانسانية نضالهم المشرف داخل الامم المتحدة ليبتزعوا النصر لرسالتهم، رسالة الحياد التى سميت بحق « ضمير الانسانية » .

وكانت الامم المتحدة فى دورتها تلك تنظر أخطر القضايا ، وتحاول أن تتخذ فيها أخطر القرارات ؛ وعلى رأس هذه القضايا الخطيرة قضية الجزائر وقضية الكونغو وقضية فلسطين ؛ وقضايا افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وخاصة قضية كوبا وقضية ايربان الغربية التى اقتطعتها هولندا من اندونيسيا وفرضت عليها نظام الاستعمار .

وكانت القضية الأساسية الخطيرة ، قضية نزع السلاح التي كان يجب أن تجدها الشعوب حلا حاسما داخل الامم المتحدة ، حتى لا يعجز سباق التسلح بين الدول الكبرى الى غايته ؛ ثم يصطدم حاملو السلاح اصطداما مروعا لا ينجو أحد من عواقبه المخيفة .

وقبل ذلك اقتضت هذه القضية الخطيرة في مباحثاتها على الدول الكبرى في مؤتمرات مقللة واجتماعات سرية ورسائل بين رؤساء الدول الكبرى تدور في حلقة مفرغة ولا تهدف الا الى تبادل الاتهامات ؛ وكان المفروض انه اذا عرضت بعض الدول الكبرى في هذه الدورة على الجمعية العامة مقترحات لنزع السلاح ذات صفة ايجابية فان الامم المتحدة يتشكّلها الجديد ، لن تخذل هذه المقترحات ، بل تقف الى جانبها وتعطيها على الاقل قوة ايجابية ترغم خصومها على عدم تجاهلها وعلى محاولة الالتقاء بها والتفاهم معها .

ولو نجحت الامم المتحدة في اتخاذ خطوات ناجحة بشأن قضية نزع السلاح لكان هذا أول نصر ضخم تحزره ضد عوامل الحرب وسباق التسلح والجفاء بين الدول الكبرى .

وكانت هناك أيضا قضية هامة تنظرها الامم المتحدة في الدورة هي قضية عضوية الصين الشعبية في الامم المتحدة ، فما زال كرسى الصين ذات ستمائة مليون النسمة يحتله ممثل المارشال شانج كاي شك حاكم فرموزا ؛ وهذا الوضع يعرض السلام في آسيا لخطر شديد كما قال شري نهر و ؛ ولا بد والأمر كذلك من نظرة جديدة فعالة لتلقيها الامم المتحدة على هذه القضية التي طال عليها الامد وباتت خطرا ينبغي ألا يستهان به .

أما قضايا فلسطين والجزائر والبلدان الواقعة تحت نير الاستعمار في افريقية وآسيا فان الدورة الخامسة عشرة كانت تعنى بالنسبة لها نقطة انطلاق قوية بعد أن تعثرت هذه القضايا طويلا في أروقة الامم المتحدة بفعل دسائس المستعمرين .

وحول هذه القضايا كلها كان لابد أن يصطدم الشرق بالغرب كالعادة ويتبادل أقطابها الاتهامات ، ويجذب كل منهما الآخر الى حافة الهاوية ، ولا يبقى عندئذ مناص من أن يقوم الحياديون بدورهم الشريف في سبيل السلام العالمي وفي سبيل تحرير الشعوب المستعبدة وفتح طريق الرخاء والتنمية أمام الشعوب المستقلة حديثا .

ولم يكن من المعقول أن يكون هذا الدور الذي يقوم به الحياديون في الامم المتحدة دورا سلبيا ، أو تقتصر مهمتهم على ابعاد النار عن الفتيل ؛ فلهم طاقة هائلة تجمع حولهم تأييد الشعوب في الامم المتحدة وتمكنهم من أن يلزموا الطرفين المتنازعين الجنوح الى الطريق الذي يحقق مصلحة الشعوب .

وهكذا بدا واضحا أن دور الرئيس عبد الناصر في الامم المتحدة سيكون دورا بالغ الأهمية ؛ لا بالنسبة للشعوب العربية وحدها ولا بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط فقط ، بل للعالم كله بغير استثناء ،

وهذه الأهمية البالغة لدور الرئيس فى الأمم المتحدة هى التى أوجحت إليه قرار السفر الى نيويورك ، وقد كان من المستبعد تماما أن يظل الرئيس فى عاصمة بلاده على حين يجتمع فى نيويورك أقطاب الحياذ وأقطاب العالم فى أكبر مؤتمر فى التاريخ الحديث ، لأن الرئيس عبد الناصر يدرك جيدا مسؤولياته كرجل حياذ ورجل سلام ورجل أحداث تاريخية «كبيرة» كان لها أعظم الأثر فى تطورات العالم خلال السنوات الحاسمة الماضية .

وكان هذا ما حدث بالفعل .

فأمام العالم كله فى الأمم المتحدة ؛ وقف جمال عبد الناصر ، على منبر الجمعية العامة يرسم طريق السلام فى دورة السلام .

والحق أن «جمال عبد الناصر» حين أعلنها من فوق المنبر مدوية بأن أعز أمنيه أن تمضى هذه الدورة فى التاريخ باعتبارها دورة السلام لم يكن يتمنى ذلك فحسب ، بل لقد كان يخطو بالعالم كله خطوات كبيرة واسعة فى سبيل اقرار السلام وتهيئة الجو المناسب له ووضع الأسس الرئيسية للوصول الى الهدف الذى تتمناه كل الشعوب .

ومن أجل تحقيق السلام لابد من عرض كل المشكلات على حقيقتها دون تحيز أو تعصب ؛ ولابد من استعراض كل الأسباب التى أدت من قبل ولا تزال تهدد بقيام الحرب .

وهذا هو بالضبط ما صنعه عبد الناصر .

فبعد الناصر يعلم جيدا أن معركة السلام هى معركة الحرية تماما كما يعلم أنه لكي ينتصر السلام وننقذ البشرية حياتها كلها لابد أن تنتصر البشرية فى معارك الحرية ، ومن أجل أن تنتصر الحرية لابد من الوقوف فى وجه السيطرة وفى وجه مناطق النفوذ ، وفى وجه مؤامرات الاستعمار وهى كلها ليست سوى وجوه لمعركة الحرية فى العالم ، وفى سبيل الانتصار فى معركة الحرية لابد أن تعمل الأمم المتحدة ؛ ولابد من وضع حد لمعركة التسليح التى لا تعرف سوى الشر والباطل والوحشية وكل هذه صور وأدوات للحرب التى لو قامت لقصت على كل آمال الانسان ، ولانتهكت تطلعاته لتحقيق ظروف أحسن تنهياً فيها كل أسباب النهو والتفهم لمصلحة جيل الحاضر وأجيال المستقبل .

من أجل ذلك شرح عبد الناصر كل مشكلات العالم ؛ وانتهى منها الى مواجهة الرجلين اللذين يقفان وجها لوجه وبين أيديهما كل أسلحة المعركة ، المعركة التى تهدد أمن البشرية .

ولئن كان مصير العالم اليوم ومستقبله تمك زمامه قوة الرأى العام العالمى ، والقوى المعنوية ذات الامكانيات والطاقات الاخلاقية اللامحدودة ؛ ان هذه القوى السلامية مازالت تتعرض لتهديدات يمكن أن تعرقل سيرها ولو مؤقتا من أجل تحقيق هدفها النهائى الرامى الى تحقيق السلام للبشرية كلها ؛ هذه التهديدات تنبثق من الصراع المستعر المتميز بالعنف والدائر بين الشرق والغرب ، وكلا المعسكرين يملك من أدوات الحرب

والدمار ما يمكن أن يغرق العالم في بحر من الذماء والآلام ؛ ومن هنا برزت ضرورة تحويل الصراع العنيف بين المعسكرين الكبيرين الى منافسة سلمية شريفة تتاح فيها الفرص المتكافئة للجميع لكي يمارسوا الابداع وينشدوا التفوق داخل نطاق السعى لخدمة قضية الانسان الاساسية وهي تحقيق السلام الدائم المطلق الأبدى .

والواقع أن أهم مشكلة قائمة بين المعسكرين الكبيرين ، وتنعكس جوانبها ومظاهر الصراع فيها على العالم كله انما هي مشكلة نزع السلاح ، ولا يمكن أن يزول قلق الناس وتنمحي مخاوفهم وشكوكهم من المستقبل الا اذا أمكن ايجاد حل واقعي ومعقول لهذه المشكلة المزمنة التي تتفاقم وتتعمد يوما بعد يوم .

لا شك أن كل ذلك هو الحقيقة .

فقد بات العالم كله يعيش تحت رحمة الصواريخ السوفيتية . والطائرات الذرية الأمريكية ؛ ولم يعد هناك الا الحرب بديلا من السلام . وفي الحرب الذرية او وقعت يفنى الرأسماليون وطائراتهم ورءوس أموالهم ، ولا يستطيعون أن يربحوا دولارا واحدا كما كانوا يربحون في الحروب الماضية ، حروب الجندي والبنديقي والسونكي .

وفي الحرب الذرية أيضا يتهدم البناء الكبير الذي بناه السوفيت في ثلاثة وأربعين عاما وبدلوا من أجل بنائه العرق والدمع والسم والتضحيات الجسام .

وفي الحرب الذرية فوق هذا وذاك يتعرض الذين ليست لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالصراع القائم بين الكتلتين للمصير المظلم الذي لن تستطيع فيه الصواريخ أو الرءوس الذرية أن تميز بين الظالم والمظلوم .

من أجل ذلك لم يبق الا أن يصيخ العالم سمعه الى نداء العملاق العربي الذي أبحر من شاطئ البحر الابيض الى شاطئ نيويورك ليخوض معركة السلام ، وهي معركة الناس كلهم .

وليطلب من الرجلين اللذين يجلسان على رأس دولتين تملكان من الامكانيات العسكرية الهائلة ما يمكن أن يؤثر على مصر العالم ، أن يلتقيا تحت علم الأمم المتحدة ، وأن يبحثا داخل نطاق هذه المنظمة الدولية مشكلات بلديهما .

قضية نزع السلاح ليتفقا على الخطوط الرئيسية التي تقرب وجهات نظرهما ؛ ومن هنا يمكن الوصول الى اتفاق تسير الدول كلها بعده في طريق السلام .

والعالم كله كان يعرف أن لكل من الرجلين شخصيته ؛ ومنطقه وطريقته في الايمان بالسلام .

وأول الرجلين هو خروشوف الذي وقف يتحدث عن السلام ونزع

السلاح واستقلال الشعوب ، ثم يشير الى دول الغرب الكبرى ولسان حاله يقول : « صواريخنا فى القمر ، وصواريخهم غارقة فى البحر ! » .

والحق أن هذه الكلمة اللاذعة التى أرسلها خروشوف ، تلخص بدقة تامة حقيقة الموقف بين الشرق والغرب ، فالسلاح النهائى ، أو الصاروخ الكونى كان رابضا فى قواعد الاطلاق السوفيتية لا فى القواعد الامريكية ولا البريطانية .

وهذا الموقف بالذات لم يثمل خروشوف كالخمر ولم يفقده اتزانه ، بل فتح له أبواب المحيط الاطلى ، وقاد سفينته حتى ألقمت مراسيها فى ميناء نيويورك .

ذهب خروشوف الى هناك وهو يؤمن بأنها فرصة تبحث التعايش السلمى ولتحويل المعركة الى منافسة سلمية فى المجال الاقتصادى ، يخرج منها النظام الاقوى وفى يده النصر الحاسم على النظام الآخر . ومن الطبيعى أن السوفيت عاشوا مؤمنين بأن نظامهم سيفوز فى أية منافسة سلمية مع النظام الرأسمالى ، وهو عكس ما يؤمن به المعسكر الغربى الذى لا يسك أبدا فى انتصار نظامه على النظام الشيوعى .

وكان هذا هو بالضبط ما يؤمن به أيزنهاور الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت ، فأيزنهاور وخروشوف اذن لم يسعيا الى لقاء بين النظامين على الصعيد الايدىولوجى لأن معنى هذا اللقاء نزول كل من النظامين عن عدد من مبادئه الأساسية ، وهو أمر مستحيل تماما ، ولا يمكن أن يفكر فيه الا الخياليون ، وخروشوف وأيزنهاور واقعيان وليسا خياليين .

ولكن انذى يسعى اليه الناس كلهم سواء فى المعسكر الشرقى أو الغربى هو أن تصير الحرب بين المعسكرين فى الظروف الراهنة أمرا مستحيلا أو بعيد الاحتمال على الاقل .

فكل الناس يريدون السلام .

كلهم يريدون التعايش السلمى ، لانهم باتوا يؤمنون أن التعايش السلمى ضرورة حيوية لا للاتحاد السوفيتى فحسب ، ولا للدول المستقلة حديثا وحدها ، بل للدول الرأسمالية أيضا ، ومن الممكن أن ينقى الناس جميعا بأسلحتهم فى جوف المحيط ، ويبدءوا تنافسا سلميا لانتاج اللحم والبيض والزبد وبناء المدن الجديدة ومحاربة الأمراض القاتلة واعلاء كرامة الانسان .

من الذى يعارض اذن سيطرة السلام ؟

بصراحة انه الاستعمار ، فالاستعماريون يعارضونه ولا يريدونه ، ويرفضون أن يركبوا فى سفينته مهما أحاطت بهم أمواج الطوفان .

ولكن الاستعماريين الذين يرفضون السلام ، وان راحوا يتنادون فى الظاهر به ، لم تعد لديهم القدرة على شن حرب ينفوزون فيها ، ان الحرب لم تعد نزهة الاستعمار ، ولم تعد القنبلة دجاجة تبيض الذهب لاحتكارات نيويورك ولندن وباريس ، لأن الشعوب أصبحت من القوة

بحيث تلحق بالاستعماريين في أية حرب عالمية هزيمة ديمتية تقضي على نظامهم الى الأبد ، ولا يريد الاستعماريون بطبيعة الحال أن يموتوا ولا يريدون لنظامهم أن ينتهى هكذا بغير أمل في العودة .

ولهذا السبب بالذات ينبغي على الاستعماريين أن يجدوا طريقا جديدا للحياة ، يبعد عنهم الموت وينقذ لهم ما يمكن انقاذه من نفوذ وسلطان ونراء .

وحول هذه النقطة تلنقى جميع المناورات والمؤامرات والمفاوضات والمساومات والنضال والكفاح فى عالمنا الحاضر ، عالم القلق الذرى والهوس الاستعمارى والامل العريض فى السلام .

وهكذا كان لابد للعالم كله أن يدرك أن أفضل طريقة لصيانة السلام ومنع الحرب حتى لا يموت الاستعماريون وأعداؤهم معا انما هى نزع السلاح نزيها شاملا ، مع الاشراف عليه بطريقة فعالة لا غش فيها ولا خداع .

وقد أعلن خروشوف فى الامم المتحدة انه موافق على نزع السلاح كما أعلن ايزنهاور موافقته أيضا ، ولم يبق كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى الامم المتحدة الا أن يجتمع خروشوف وايزنهاور لينزعا سلاحهما بالفعل .

والحقيقة أنه اذا تحسنت العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، فان العلاقات ستتتحسن بين بقية دول العالم لأن حالة العلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ذات تأثير ضخم فى حالة العلاقات بين بقية دول العالم .

وهذا هو الذى جعل الدول المحايدة تسعى الى تحسين العلاقات بين واشنطن وموسكو ، وتحمل صيحات رؤسائها على منبر الامم المتحدة فى تلك الدورة ، هذه الرغبة الجياشة فى التقريب بين أقوى دولتين فى العالم .

وقد كانت كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الامم المتحدة تحمل هذه الرغبة العامة التى تبديها شعوب البلدان المحايدة كما تبديها شعوب البلدان المنحازة نفسها .

فالشعوب كلها تعلم أن المعركة فى الاصل معركة بين أمريكا وروسيا ، بين خروشوف وايزنهاور ، وقد ذهب خروشوف الى نيويورك بالفعل .

ولا يمكن أن يكون قد ذهب الى نيويورك ليضحك الامريكاني كالمهرج المسكران ، بل يجب أن يصغى ايزنهاور جيدا اليه ، لأن العالم كله يصغى اليه ويقدر كلماته ما دام لديه الاستعداد للسلام .

وهذه هى فى الواقع مهمة زعماء الحيايد والسلام ، مهمة جمال عبد الناصر ونهرو وسوگارنو وتيتو .

وجمال عبد الناصر عندما ذهب بنفسه الى الامم المتحدة ، وعندما بادر بدعوة خروشوف وأيزنهاور الى اللقاء ، لم يفعل ذلك بدافع تحقيق مكسب شخصي أو بدافع تقليد المغرمين بالدعاية ، وانما فعل ذلك لأنه يؤمن في أعماقه بقضية السلام ، ويؤمن كما يؤمن الشعب العربي وكل الشعوب بأنه لا يمكن تحقيق التقدم وتنفيذ برامج التصنيع والرخاء كاملة الا اذا تحققت امكانيات العيش في هدوء وسلام ، عندئذ يمكن للحكومات وللشعوب معا أن تنصرف الى معركة البناء . وليس أحرص علي خوض هذه المعركة الهامة من شعوب نكبت بالاستعمار أجيالا طويلة ولحقها التخلف وفاتها كما قال عبد الناصر عصرا البخار والكهربا ويوشك أن يفوتها عصر الذرة .

ومن خلال مبادئ الجياد وعدم الانحياز برز اخلاص عبد الناصر وصدق دعوته لهيئة فرص طيبة لكي يزدهر السلام وتنمو براعمه .

وعندما عاد بطل السلام ، بطل الامة العربية ، وملهم الشعوب الافريقية والآسيوية ، عاد من رحلته في سبيل اتسلام ، مقرونا اسمه بالسلام ، متوجا بالكرامة والايهان والثقة ، مسجلا لأول مرة في تاريخ العرب الحديث يقظتهم الكبرى أمام العالم .

ان ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك ليس خافيا على أحد في بلادنا أو في خارج بلادنا ، لأنه فعل كل شيء أمام أنظار العالم كله ، وهي تتابعه بحماسة وانهار ، ولا يوجد في العالم الا عمى البصائر فقط ، من لم يروا ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك من أجل أمته ومن أجل العالم .

ان أضواء عاكسات التصوير التي سملطت في نيويورك على عبد الناصر ، كانت خافتة جدا اذا قيست بأضواء التاريخ التي غمرته كأنها نور الشمس .

والحق يقال : ان هؤلاء الزعماء البررة بشعوبهم وبالعوالم كله ، عملوا طويلا لكي يجعلوا الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة دورة تاريخية للسلام العالمي .

وعندما يشهد التاريخ بانتجاح الذي حققته هذه الدورة ، فسيكون لعبد الناصر كأبرز هؤلاء الزعماء سمطور طيبة يستحقها بالريب ، لأنه حرص أن يكون كما قال الدكتور براساد رئيس جمهورية الهند « مكافحا شجاعا في سبيل السلام » .

وكما تلتقط عاكسة التصوير ملامح الوجه ، التفتت عاكسة التاريخ ملامح أعمال هذا البطل العظيم ، أعمال جمال عبد الناصر .



الصراع مع الرجعية

ان ((جمال عبد الناصر)) هو الالهتاف الفريرى الذى انتسب ابق اليه السنننا فى كل مناسبة قومىة ووطنىة ، ولكنه يصبح فى شهر يوليو من كل عام ، أكثر من هتاف تولىه الفريرزة ، ان ((جمال عبد الناصر)) يتحول اسمه فى شهر يوليو من كل عام وكأنه الاسم الخاص لكل عربى ، لأن شهر يوليو هو شهر جمال عبد الناصر ، الشهر الحار الذى استعمار حراراته من ايمان جمال عبد الناصر ، واكتسب شهرته فى التاريخ بالاحداث الجسام التى صنعها فيه جمال عبد الناصر ، ودخل تاريخ العرب الحديث يوم اختاره جمال عبد الناصر لىوجه فيه ضرباته الحاسمة لاعداء العرب .

لقد قاد جمال عبد الناصر شعبنا ففضى على الاستعمار وأخرجه من بلادنا ، وحقق بذلك حلما كان الكثرىون يعتقدون أنه سىظل حلما الى الابد .

وقبل ذلك قضى جمال عبد الناصر على النظام الملكى الفاسد وحاشيته من رجال القصر ورجال الاحزاب وسماسرة السىاسة .

ووجه عبد الناصر ضربته الى الاقطاع فأنقذ شعبنا من الاخطوط الذى عاش مئات السنين يمتص دماءه .

وكان القضاء على تحكم رأس المال فى الحكم خطوة حيوية ، فخطاها عبد الناصر بحزم وقوة .

وتوج ذلك كله بانشاء جيش وطنى فسخم ، وصناعة عربىة متطورة .

ومن خلال هذه الخطوات برزت الملامح الاولى للمجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى الذى دعا اليه جمال عبد الناصر .

ان الاشتراكىة هى صىحة هذا العصر كله ، ومصير القرن العشرين الى الاشتراكىة بصورها المختلفة تبعا لاختلاف البلدان والشعوب ، ولهذا كان لابد للامة العربىة من أن تضطلع بتجربتها الاشتراكىة الخاصة لكيلا تتخلف عن التطور العام للجنس البشرى فى مرحلته التاريخىة الجديدة .

وفي الماضي القريب الذي سبق ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، كان السياسيون والزعماء العرب يتجاهلون الاشتراكية ، بل ويعتبرون مجرد النطق باسمها رجسا من عمل الشيطان .

وكان لابد للعرب من جمال عبد الناصر ، يقودهم في طريق اشتراكيهم ، وهي اشتراكية عربية اللحم والدم لا صلة لها بغيرها من الاشتراكيات التي تنبع من تقاليد غير تقاليدنا ، وتنبت فوق أرض غير أرضنا .

ثم التفت عبد الناصر الى قضية الديمقراطية ، وكان لابد للديمقراطية كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر أن «تتلازم مع الوحدة الوطنية ، لأن المشكلة التي واجهها هي : هل نكون أو لا نكون ؟ وليس هناك مجال للخلاف ، ثم ان وجود أى خلاف في هذه المرحلة كان معناه ألا نكون على الإطلاق . خصوصا أن الظروف الخارجية المحيطة بنا تتحفز لاستغلال أى خلاف ، ولم يكن الاتحاد القومي في الواقع الا أداة لتحقيق الديمقراطية المتلازمة مع الوحدة الوطنية .

ثم يجيء دور التعاون في المجتمع الذي يقود عبد الناصر عملية بنائه ، فيقول عنه : «لم يكن من المعقول مثلا أن تكون الاشتراكية هي مجرد تحويل الأجير الى مالك أرض ، وانما الاشتراكية الحقيقية تتأكد حين يواصل التعاون دوره بعد توزيع الارض على مالكيها الجديد ، فيوفر له كل احتياجات الانتاج ، ويحميه من الاستغلال ، وكذلك الحال في الصناعة » .

وهذا النظام الاجتماعي الذي يرسمه جمال عبد الناصر ليس من اختراعه ، تماما كما قلنا عن «الوحدة» ، وكما قلنا عن الاتحاد القومي ، فان الوحدة هي منطق تاريخ العرب وجد تعبيرا عن نفسه على يد جمال عبد الناصر ، وكذلك الاتحاد القومي ، فانه منطق التاريخ العربي الجديد بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، منطق الديمقراطية المتلازمة مع الوحدة الوطنية ، كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر .

وليس المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني مختلفا عن كل ما سبق ، فالواقع أن «جمال عبد الناصر» لم يخترع هذا المجتمع ، وانما اخترعته طبيعة تطورنا الاجتماعي باعتبارنا عربا لنا تقاليدنا وعقائدنا الخاصة ، كما أن لنا ظروفنا وامكانياتنا الخاصة .

ان المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني هو كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر : «التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة» ، وهذا المجتمع هو أيضا كما يقول الرئيس : « ليس اختراعا نفرد به ، وانما هو التطور الطبيعي الى مدها » .

وتجربة هذا المجتمع - بكل مؤسساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية سيكون لنجاحها دوى في العالم كله ، وأهمية تاريخية أكبر بالنسبة لبلادنا وبالنسبة للامة العربية كلها ، بل وبالنسبة لشعوب أفريقية وآسيا التي بدأت تنحدر من الاستعمار وتسير في طريق التطور المستقل .

لقد قطعت دعوة عبد الناصر حتى الآن عشر سنوات ، ولم يحدث في التاريخ أن كانت عشر سنوات فقط مليئة بالأعمال الثورية مفعمة بالتحويلات الجذرية ، كما حدث خلال السنوات العشر التي اكتملت من حياة الثورة العربية الاشتراكية الديمقراطية بزعامة عبد الناصر .

وقبل ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كانت « القومية العربية » خيالا غامضا يداعب بعض الكتاب والتمسراء والسياسيين الجدد والقدامى في البلاد العربية .

وفيما يختص بالقومية العربية في مصر ، كان الاحتلال البريطاني ومن قبله الاحتلال العثماني ، وعملاء البريطانيين والهنمانيين ، قد نجحوا الى حد كبير في عزل مصر ، وهى قلب العالم العربى عن العالم العربى . ومع أن الشعب المصرى كان يصف نفسه دائما بأنه « ابن عرب » فان العرب في البلاد السنيقة لم يكن لهم اتصال عملى بمصر ، كانوا هم أيضا منعزلين ، وأوشك مفهوم العروبة أن يقتصر على قيام دولة تضم العراق وجزيرة العرب والشام فقط .

وكان رجال الثورة العربية خلال الحرب العالمية الاولى بزعامة الشريف حسين يتصورون مملكة العرب في المستقبل ، بغير مصر ، وبغير فلسطين ولبنان ، ولم يخطر على بالهم قط شمالي افريقية العربى ، والسودان العربى .

لقد كانت فكرة « القومية العربية » مشوهة وناقصة وغير صحيحة . كانت فكرة زعماء تسيطر عليهم أفكار القرون الوسطى وتسيرهم أهواء الاستعمار العالمى .

ثم جاءت ثورة يوليو المجيدة ، فوضعت هذه الافكار الخاطئة عن القومية العربية ، في متحف التاريخ البالى ، وأخرجت من واقع حياة الامة العربية المعاصرة ، ومن وقائع تاريخها العظيم الخالد ، عناصر الكفاح من أجل القومية العربية ، من المحيط الى الخليج .

وبطبيعة الحال ، لم يكن ممكنا أن يكافح عبد الناصر ورفاقه من أجل القومية العربية بمفهومها الصحيح ، بالاساليب التى « كافح » بها الشريف حسين وزمرته من أجل هذه القومية .

لقد كان « كفاح » الشريف حسين فرعا من التدابير الاستعمارية لتقسيم مناطق النفوذ في العالم العربى ، فكانت ممالك الهاشميين تحت رعاية النفوذ البريطانى ، فى حين انضوت ممالك عربية أخرى تحت رعاية نفوذ استعمارى آخر .

اما كفاح عبد الناصر ، فقد استهدف قبل كل شىء قهر الاستعمار ومقاومة مناطق نفوذه ، وطرد هذا النفوذ خارج مصر ثم خارج العالم العربى .

وكان طرد الاستعمار ، هو الخطوة الاولى من أجل القومية العربية

بمفهومها الجديد الصحيح ، أما الخطوة الثانية فكانت بناء المجتمع العربي الجديد الذى يكون بمثابة مضمون اجتماعى للقومية العربية .

وحول هذين النقطتين « طرد الاستعمار واقامة مجتمع عربى جديد » ثار النزاع بين عبد الناصر من جهة وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية من جهة أخرى .

ان الرجعيين مستعدون لاقامة وحدة شكلية تجمع العروش والقصور وملوك المال والارض فى صعيد واحد باسم القومية العربية وتحت أقدام هؤلاء الطفلة يجثو الملايين من أبناء الشعب العربى من محيطه الى خليجه ، باسم القومية العربية أيضا .

وكان العدوان الثلاثى فى ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٦ ذروة الصراع حين ذاك بين الاتجاه الشعبى بقيادة جمال عبد الناصر من أجل قومية عربية تقدمية ، وبين الاتجاه الاستعمارى الرجعى الذى يضم الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية .

وعندما انهزم العدوان الاستعمارى الصهيونى كان معنى هزيمته ان الرجعية العربية أيضا قد انهزمت فى معركة من أكبر المعارك الحاسمة فى تاريخ النضال العربى .

وضعف مركز الاستعمار والصهيونية فى الشرق العربى ، وضعف بالتبعية مركز الرجعية العربية ، وارتفع المد الثورى الشعبى فى البلاد العربية كلها ، وكان أقصى ارتفاعه فى سورية حيث فرض الشعب السوري ارادته فى فبراير عام ١٩٥٨ أى بعد خمسة عشر شهرا فقط من انتصار بور سعيد على العدوان ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة من سورية ومصر كحقيقة تاريخية فى نضال الامة العربية توتيت على الحقيقة التى تمثلت فى انتصار مصر على العدوان الثلاثى بعنبره الاستعمارية والصهيونية والرجعية .

وهكذا لم يعد انتصار العرب على العدوان الثلاثى ، مجرد انتصار عسكرى وسياسى أحرزته دولة عربية واحدة ، بل تحول الى انتصار قومى واسع ، شمل جميع الأقطار العربية وعبر عن نفسه بقيام دولة عربية موحدة لأول مرة فى التاريخ العربى الحديث .

ولكن هذا الانتصار العظيم البعيد المدى لم يكن فيه القضاء التام على الاستعمار والصهيونية والرجعية ، وكان واضحا أن هذا الثالث المعادى للامة العربية يستجمع قواه للقيام بهجوم مضاد يسترد به بعض الاراضى التى فقدتها ، ويتيح لنفسه فرصة جديدة للبقاء فترة أخرى قبل أن تقضى عليه حتمية التاريخ فى النهاية .

وكان قيام الحركة الانفصالية الرجعية فى سورية ثمرة الهجوم المضاد العنيف الذى تركزت فيه قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية الى أقصى حد ، وهاجمت النقطة التى كانت ماتزال تنوء ببقايا جيوب الرجعية وعملاء الاستعمار ، وأوكر أعداء القومية العربية .

ومع أن الهجوم الاستعماري الصهيوني الرجعي المضاد ، قد ربح جولة في سورية فان النصر النهائي لاتقرره معركة واحدة ولا تقع النكسة التامة بسبب خسارة واحدة في معركة بمفردها .

وهذه الحقائق يعرفها حتى الاستعمار والصهيونية والرجعية ، ولهذا يتحفظون بينهم وبين أنفسهم في ابداء الفرح والثقة بما حدث في سورية ، ويمدون أبصارهم في تخوف شديد الى رد الفعل ، وهم يعرفون أن بناء مجتمع عربي اشتراكي يضع مضمون القومية العربية على صعيد الحياة الاجتماعية ، سيكون أكبر لظمة يرد بها عرب الجمهورية العربية المتحدة الآن على المؤامرة الاستعمارية الرجعية في سورية .

لقد كانت أمنية الاستعمار والصهيونية والرجعية ، أن يكون رد عبد الناصر على ما حدث في سورية ، حملة عسكرية ، ودماء عربية تصبغ وجه الارض ، ولكن عبد الناصر رد عليهم بالمضى في بناء المجتمع العربي الاشتراكي .

وهكذا اندفعت في مصر عجلة العمل الثوري بأقصى قوتها وسرعتها والثورة العربية في مضمونها الاجتماعي ، هي نقل حياة الانسان العربي من القرون الوسطى الى النصف الاخير من القرن العشرين .

وليست هذه النقلة مجرد التحول من عصر الى عصر ، من عصر البعير والحصان الى عصر الذرة والصواريخ ، وانما هي نقلة من الظروف الاجتماعية والفكرية والنفسية التي يصنعها الآن كل شعب نفرض عن نفسه نير الاستعمار والاحتكار الرأسمالي .

لقد استنفدت الاساليب الرأسمالية أغراضها وأفلست تاريخيا ، وهي تتلمس الآن ، حتى في قلب العالم الرأسمالي مخرجا من أزماتها المتلاحقة .

وكما أن القومية العربية الثورية رفضت المضمون الاجتماعي الاقطاعي ، فانها رفضت المضمون الاجتماعي الرأسمالي . أي أن القومية العربية الثورية رفضت الرجعية على طريقة القرون الوسطى ، كما رفضت الرجعية على طريقة الدول الاستعمارية التي مازالت تعيش .

ومن الجدير بالذكر هنا أن القومية العربية في تاريخها الطويل قد رفضت المضامين الاجتماعية البالية على مر العصور :

ففي صدر الاسلام ، رفضت القومية العربية ، من خلال العقيدة الاسلامية كل مضمون عبودي ، وكانت العبودية هي المحتوى الاجتماعي السائد حين ذاك في مجتمعات كسرى الفارسي وقيصر الرومي ، ومجتمعات الهند والصين .

وفي العصور الوسطى حينما سادت النظم الاقطاعية ، كان واضحا تماما أنها مخالفة للتفكير العربي وكان السلاطين والاقطاعيون الذين حكموا البلاد العربية في العصور الوسطى من جنسيات غير عربية ، وكانت أفكارهم التي فرضوها على الامة العربية والاسلامية أفكارا مستوردة من

خارج الفكر العربي والوطن العربي ، وكانت في مجموعها مخالفة لتعاليم الدين الإسلامى .

وفي العصر الحديث ، عصر الرأسمالية ، حاول الرأسماليون العرب ، بالتحالف مع الإقطاعيين العرب إقامة كيان عربى رجبى ، يحقق مصالحهم ، ويدوس مصالح الشعب العربى ، ولكن هذا التحالف الرجعى لم يستطع أن يعيش فى ربوع العرب الا مستظلا براية الاستعمار .

ولهذا السبب تمضى الثورة العربية بقيادة جمال عبد الناصر لتحقيق محتواها الاجتماعى التقدمى الذى يتعارض مع الإقطاع ، ومع الرأسمالية ، فضلا عن تعارضه الحاسم مع الاستغلال الاستعمارى .

والذى يجرى اليوم فى مجتمعاتنا بمصر ، إنما هو تحقيق عملى لثورية المضمون الاجتماعى للقومية العربية .

والاشتراكية هى التعبير العملى عن هذا المضمون ، وهى أساس جميع التحولات الاجتماعية التى ستتم فى بلادنا خلال السنين القادمة لتجعل كل شىء فى البلاد ملكا خالصا لأصحاب البلاد . وهم العمال والفلاحون والمثقفون والملك الصغار والحرفيون وجميع من يعملون ويكسبون بعرقهم وكفاحهم ، لا باستغلال جهود الآخرين .

وقد كان مقررا من قبل أن تندفع جمهوريتنا فى تنفيذ هذه القوانين الاشتراكية ، ثم وقعت الحركة الرجعية فى سورية بقيادة أعداء الاشتراكية ، فظن أعداء القومية العربية أن قادة الثورة فى القاهرة ، سيترددون فى تنفيذ القوانين الثورية وبناء الاشتراكية فى مصر .

ولكن الذى حدث هو العكس تماما : اندفعت عجلة الثورة بكل قوتها تبنى الاشتراكية وتضع القوانين الثورية موضع التنفيذ ، بإرادة الشعب كله بعماله وفلاحيه ومثقفيه وفئاته الأوسع الأخرى التى تحدد مصلاحتها كلها فى بناء الاشتراكية .

وهذا دليل على أن « الاشتراكية » لم تكن صيحة دعائية فى بلادنا، بل كانت وستظل دائما مضمونا ثابتا لقوميتنا العربية .

والحماسة التى قابل بها شعبنا اندفاع عجلة البناء بكل قوتها تدل بوضوح على أن الشعب العربى فى مصر يعى دوره الثورى تمام الوعى وأنه يتمتع بيقظة ثورية ، وطاقة خلاقة ، وتصميم على البناء . . هذه المزايا الشعبية كلها سيضعها الشعب ، بل لقد وضعها بالفعل فى خدمة البناء الاشتراكى بقيادة بطل الاشتراكية العربية جمال عبد الناصر .

وإذا كان الشعب هو السانى الأكبر لصرح الاشتراكية ، فإنه لا يستطيع أن يتمكن من بنائها بسرعة الا اذا تسلم بمنظوماته الثورية الاشتراكية التى تضم القاعدة الثورية وقيادتها بمستوياتها كلها .

وفى خلال العمل الثورى للاشتراكية سيصادف الشعب بعض العوائق والصعاب ، بل وبعض المؤامرات التى تحاول تدمير عمله .

وما معنى نجاح بناء الاشتراكية في بلادنا .

ان معناه أن بلادنا العزيزة ستثبت عمليا أن المضمون الاجتماعي للقومية العربية ، مضمون ثورى تقدمى ، مضمون اشتراكى ، وليس مضمونا رجعيا كما يريد له الرجعيون والاستعماريون .

ومعنى بناء الاشتراكية في بلادنا أيضا أن يظهر لأول مرة في التاريخ ، الانسان العربى الاشتراكى ، الانسان المتحرر السعيد الذى يتمتع بأقصى حاجاته من خيرات الحياة وهناءتها .

وشعبنا وهو يبنى الاشتراكية الآن ، يدرك مصاعب البناء ولكنسه يعلم يقينا أن هذه المصاعب ، ستصبح فى ذمة التاريخ عندما يرتفع صرح الاشتراكية العربى شامخا ، امام أنظار العالم كله .

اننا الآن نبنى الاشتراكية : أى أننا نبنى السعادة لانفسنا ولأولادنا والاجيال العربية القادمة .

وبقيادة جمال عبد الناصر التى قهرنا بها أعتى عدوان عسكرى وسياسى وقع بعد الحرب العالمية الثانية ، سنقهر كل عدوان جديد ، يأتينا من الاستعمار ، أو من الرجعية ، أو منهما معا .

وبقيادة جمال عبد الناصر ، سننتصر فى معركة بناء الاشتراكية من أجل حياة أفضل لكل أبناء هذا الشعب العظيم .



وبعد

فان الصمـــــورة المصغرة للعلاقات الكبير لا تعطي دائما كل ملامحه
وخصائصه .

وهذا ما يصدق بوجه خاص على الرئيس جمال عبد الناصر .

ففي عشر سنوات فقط أصبح عبد الناصر رمزا للامة العربية كلها
وأصبح شخصية دولية ضخمة ، وأصبح رجل سلام مسموع الكلمة ،
وأصبح بطالا تحريريا تهتمى به شعوب آسيا وافريقية في نفسالها
التحررى المجيد .

وفي عشر سنوات فقط ، نفذ عبد الناصر برنامجا الداخلى الذى بدأ
بطرد الالك وانتهى بطرد الاحتلال العسكري والاقتصادى وتحرير الشعب
من الاقطاع وسيطرة رأس المال ، ثم بدأ صفحة جديدة باللغة الالهية ، هى
صفحة المجتمع الديمقراطي الاشتراكى التعاونى الذى يحقق به عبدالناصر
للجمهورية العربية المتحدة مجتعا متكاملا متحررا من آفات المجتمعات
القيمية الهادية للشعب وحقوقه وكرامته وتطوره .

وتجربة هذا المجتمع بكل مؤسساته السياسية فى العالم كله ،
له أهمية تاريخية أكبر بالنسبة لبلادنا وبالنسبة لشعوب افريقية وآسيا
التي بدأت تتحرر من الاستعمار وتسير فى طريق التطور المستقل .

وهذه الصفحات التى مضت لا تستطيع أن تعطي أكثر من صورة
مصغرة جدا للعلاقات عبد الناصر ، والصورة المصغرة كما قات لاتعطي
فكرة كاملة عن حقيقة العلاقات ، وهذا الحديث عن الرئيس ليس سوى
حديث عام ، يعطي فكرة عامة ، أما عبد الناصر العلاقات الذى صنع
معجزات ضخمة مذهلة فدعنا نقل لك اننا لانستطيع أن نحدثك عنه
حديثا وافيا ، ولا نستطيع أن نعطيك عنه فكرة كاملة .

ان المرء ينظر الى الشمس بجزء من عينيه ، ولا يستطيع أن يحدث
فيها بولء عينيه ، ونحن العرب نعتقد بدون مجابة للرجل الذى نجبه
ان شمسه تبهر كل عين ، وان استيعاب ضوئها كله فوق طاقة العيون .

ولكن التاريخ فقط يستطيع أن يفتح عينيه جيدا ، ويتأمل ((جمال
عبد الناصر)) ويرى ما صنعه لشعبه فى عشر سنوات مرت كأنها عشرة
أيام .

وحسبك من كل ما صنعه عبد الناصر هذا المجتمع الجديد الذى
نعيش فيه ، المجتمع الذى جعلنا نعيش لأول مرة منذ عدة آلاف من
السنين فى ظل الكفاية ، والعدل ، والمساواة .

فهرس

صفحة	الموضوع
٣	تقديم
٧	هذا العملاق
١٧	من أجل اشتراكية عربية خالصة
٢٩	المعركة ضد الاستعمار
٤١	شخصية البطل وميثاق الشعب
٥٩	قصة الوحدة
٧٣	بطل السلام
٨٩	الصراع مع الرجعية

هيئة قناة السويس

(مناقصة عامة بين مقاولى القطاع العام)

تطرح هيئة قناة السويس مناقصة عامة لعملية انشاء عمارة سكنية لموظفى الهيئة ببور سعيد وتطلب الشروط والرسومات بالحضور الى مقر الهيئة بالاسماعيلية (التخطيط والابحاث) وذلك نظير دفع مبلغ خمسة عشر جنيها •

وتقدم العطاءات باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والابحاث) فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ٢٩ ابريل ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ثلاثة آلاف جنيه •

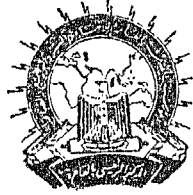
ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد لهذا الموعد أو غير مصحوب بالتأمين الابتدائى المطلوب •

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة بين مقاولى القطاع العام والخاص

تطرح هيئة قناة السويس مناقصه عامة عملية انشاء عمارة سكنية
اعمال الهيئة ببور توفيق وتطلب الشروط والرسومات بالحضور الى
مقر الهيئة بالاسماعيلية (لتخطيط والأبحاث وذلك نظير دفع مبلغ
عشرة جنيهاً •

وتقدم العطاءات باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس
(التخطيط والأبحاث) فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر
يوم الأحد ٢٨ ابريل ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ألف جنيه •
ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد هذا الموعد أو غير مصحوب
بالتأمين الابتدائى المطلوب •



مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبید - روض الفرج

تلفون } ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨١ - ٤٠٨١٤

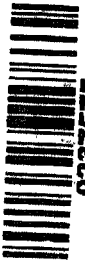


الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عيسى - روضه الفراع

٤١٠١٢ / ٤٠٧٥٣ } لمقون
٤٠٨١٤ / ٤٠٥٨٨ }

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية



0237575

الثمن ٩ قروش

العدد ٢٣٩